التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 202 السنة 22 - سبتمبر 2024

رؤية 2050 .. ما قبل وما بعد

14 أغسطس يوم الاستقلال الوطني

موقفنا

أمريكا شريك في العدوان

نحو أحد عشر شهراً مرّت منذ أن شنّت إسرائيل عدوانها الوحشي على قطاع غزّة، الذي راح ضحيته حتى الآن أكثر من خمسة وخمسين ألف شهيد، غالبيتهم من الأطفال والنساء، فضلاً عن تدمير مدن القطاع وبلداته، ومواصلة تهجير أهالي القطاع من منطقة إلى أخرى، ليعيشوا في العراء، ولم تسلم حتى المستشفيات والمدارس التي أصبحت أماكن إيواء تابعة لمنظمات الإغاثة العالمية، من القصف الهمجي الذي راكم الجثث تحت الركام.

منذ بدء العدوان كانت الولايات المتحدة شريكاً مباشراً فيه. إلى تل أبيب طار الرئيس العجوز بايدن لإعلان دعمه لحرب الإبادة، حتى أنه شارك في اجتماعات عسكرية إسرائيلية لرسم خطط الحرب، ومثله أتى وزير خارجيته بلينكن مراراً إلى المنطقة، تارة للتأكيد على دعم العدوان حدّ الجهر بأنه في تل أبيب ليس بصفته وزيراً لخارجية أمريكا، وإنما بصفته يهودياً، وتارة للمساعدة في انجاح مفاوضات التوصل إلى هدنة أو نهاية للحرب، التي كشفت، في كل مرة، أن واشنطن ليست أهلاً لأن تقوم بدور وسيط في المفاوضات، كونها ممتثلة للشروط الصهيونية التي يُعلي منها رئيس وزراء الكيان نتنياهو في كل جولة، فارضاً المزيد منها كلّ مرة.

رغم كل الضجيج الإعلامي عن ضغوط يمارسها الرئيس الأمريكي جو بايدن على نتنياهو، لا يوجد أدنى دليل جدي، يعتدّ به، على صحة ذلك. منذ بدء العدوان على غزّة ونتنياهو يتجاوز ما كانت تعدّ خطوطاً حمر، ولا تفعل واشنطن شيئاً لكبح هذا الاندفاع الطائش الذي يسبب في سقوط المزيد من الضحايا، ويحدث الكثير من الدمار والخراب، فلم تتوقف شحنات الأسلحة الامريكية المتدفقة إلى تل أبيب، والمعونات المالية لها، وعند كل منعطف ينذر بتوسع اقليمي للحرب، تتوجه حاملات الطائرات والغواصات الامريكية والأطلسية إلى المنطقة، لحماية إسرائيل من أي استهداف محتمل، ناهيك عن المعلومات الاستخباراتية التي تقدّمها واشنطن للجيش الإسرائيلي، وهو ما يجاهر المسؤولون الأمريكيون به ويتفاخرون.

عند كلّ محطة من محطات الحرب العدوانية على الشعب الفلسطيني، لا يصادفنا أي تصريح أمريكي ينطوي على تعاطف مع محنة الفلسطينيين، ودعوة للاستجابة لحقوقهم الوطنية المشروعة في اقامة دولتهم المستقلة على أرضهم، فما نسمعه من هذه التصريحات منصبّ على "أمن" إسرائيل وحمايتها، والتعهد بالوقوف معها لمواجهة أي خطر تواجهه.

العدوان على غزّة ما كان سيكون وسيستمر كل هذه الشهور بكل الجرائم الناجمة عنه لولا الدعم والمؤازرة من واشنطن، ما يجعلها شريكاً فعليّاً في هذا العدوان.

التقدمي

في ذكرى استقلال البحرين... القومي والتقدمي والوحدوي:

الدعوة مفتوحة لحوار وطني وقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني

أكدت جمعيات (المنبر التقدمي– التجمع القومي– والتجمع الوحدوي) على الحاجة لاستعادة اللحمة الوطنية والتكاتف الشعبي حول المطالب الوطنية المحقة وإعادة الروح لمبادئ ميثاق العمل الوطني والعمل بمشاركة كافة الأطراف السياسية، وفي مقدمتهم السلطة، على إيجاد الحلول السياسية بدلاً من الأمنية من خلال إطلاق سراح المعتقلين السياسيين والحقوقيين وإعادة الجنسيات وإطلاق حرية العمل السياسي والمدني ووقف التضييق على الناشطين السياسيين والحقوقيين وإطلاق حوار وطني موسع تسنده إرادة سياسية صادقة، تقود البلاد إلى حيث التوافق والوحدة والتلاحم الوطني على طريق إعادة قاطرة الإصلاح الدستوري والسياسي الحقيقي غير المنقوص إلى مسارها المنشود، من أجل رفعة وتقدم بلادنا وشعبها، ووقف كافة التدخلات الخارجية في سيادة واستقلال البحرين وإرادة شعبها.

وأشارت الجمعيات في بيان لها بمناسبة ذكرى الاستقلال إلى:» الظروف الاقتصادية البالغة الصعوبة التي تعيشها الغالبية العظمى من الشعب»، وطالبت الجمعيات: «بحماية الحياة المعيشية للمواطنين وتحسين وضعهم المعيشي والاجتماعي»، ورفضت: «المساس بحقوق المتقاعدين وتحمليهم فساد وعجز منظومة التأمين الاجتماعي»، وأضافت الجمعيات بأنه على:» الدولة أن تعمل على معالجة مشكلة البطالة والخلل السكاني الخطير واكتساح العمالة الأجنبية سوق العمل والفساد والتمييز والتجنيس وتضخم مناصب المسئولين الحكوميين وغيرها من المشاكل المزمنة بصورة جدية بدلاً من المساس بحقوق المواطنين».

وأشادت الجمعيات الثلاث بإعلان وزارة الداخلية مراجعة ملف التجنيس منذ العام 2010، فإنها تطالب بالشفافية التامة في هذه المراجعة وإعلان الوزارة للجمهور آليات هذه المراجعة ومعاييرها والنتائج التي توصلت لها، كما تدعو الجمعيات أن يمتد التحقيق لما قبل عام 2010، خاصة بعد أن تفاقمت آثار ومخاطر سياسات التجنيس طوال السنوات الماضية والحقت ضرراً بالغاً بالنسيج الاجتماعي وخلقت توترات اجتماعية كبيرة وأدخلت ثقافات وقيم وعادات غريبة وشاذة في مجتمع البحرين والمدارس والأحياء السكنية الآمنة والمتآخية، كما شكلت عبئاً كبيراً على الخدمات الإسكانية والتعليمية والصحية وميزانيات الدعم الحكومي، وتعتبر سبباً رئيسياً في استنزاف موارد الدولة، هذا علاوة على إلحاق الضرر بسمعة البحرين في بعض الدول الخليجية الشقيقة المجاورة.

وجددت الجمعيات في هذه المناسبة رفضها القاطع لكافة أشكال التطبيع مع العدو الصهيوني، مؤكدة على خطورة هذه القضية على حاضر ومستقبل البحرين، وطالبت الحكومة بقطع العلاقات مع الكيان الغاصب، وشددت على موقف شعب البحرين المناصر لقضية الشعب الفلسطيني وحقه في استرجاع كامل التراب الفلسطيني.

جانب من الندوة التي أقيمت بمناسبة يوم الاستقلال الوطني

ندوة مشتركة بالمناسبة

وبمناسبة يوم الاستقلال الوطني أقيمت في مقر «التقدمي» ندوة مشتركة للجمعيات الثلاث، بتاريخ 18 أغسطس الماضي، تحدث فيها كل من الدكتور حسن العالي عضو الأمانة العامة للتجمع القومي الديمقراطي، والرفيق فاضل الحليبي نائب الأمين العام للمنبر التقدمي للشؤون السياسية، قدّم فيها الحليبي خلفية تاريخية لنضالات الشعب البحريني وحركته الوطنية على مدار عقود طويلة من أجل الاستقلال عن الهيمنة البريطانية على مقدّرات البلاد، فيما تناول الدكتور العالي التحديات التي تواجه البحرين في المرحلة الراهنة من جوانبها المختلفة، السياسية والاجتماعية والاقتصادية، مؤكداً على ضرورة الخروج من الوضع المأزوم الراهن عبر آلية متفق عليها من الحوار الوطني.

الجمعيات السياسية تدين مجزرة المصلين وتحمل الغرب مسؤولية الإبادة الجماعية في غزة

أدانت الجمعيات السياسية في البحرين المجزرة الصهيونية بحق المدنيين العزل في مدرسة التابعين التي تأوي نازحين بحي الدرج وسط قطاع غزة أثناء أدائهم لصلاة الفجر، والتي أسفرت عن ارتقاء أكثر من 100 شهيد وعشرات الجرحى بينهم أطفال ونساء وشيوخ.

وحملت الجمعيات السياسية الإدارة الأمريكية مسؤولية هذه المجزرة جراء دعمها المالي والعسكري والسياسي للاحتلال الصهيوني والذي لولا هذا الدعم لانهار هذا الكيان الهش في ساحة المعركة وما تجرأ على الإمعان في حرب الإبادة الإنسانية ضد مدنيين عزل بهذه الوحشية غير المسبوقة في التاريخ الحديث والتي فاقت النازية بمراحل.

وأكدت جمعيات (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، تجمع الوحدة الوطنية، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الدستوري، الصف الإسلامي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، الوسط العربي الإسلامي)، أن مجزرة المصلين وغيرها من أعمال الإبادة البشرية في غزة والتي يقوم بها الاحتلال الصهيوني هو عار في جبين الإنسانية وجريمة تعبر عن حقارة ودناءة الكيان الصهيوني وكل الداعمين له، وعن واقع بين الخزي والخذلان.

«تقدّم» تدين مجازر الاحتلال وترفض كل أشكال التطبيع

أدانت كتلة "تقدّم" البرلمانية المجزرة الوحشية التي ارتكبها الكيان الصهيوني بحق مدرسة التابعين في غزة، والتي راح ضحيتها العشرات من الأطفال والنساء والشيوخ الأبرياء. وقالت "إن هذه الجريمة النكراء هي استمرار لسلسلة من الاعتداءات البشعة التي يمارسها هذا الكيان الغاصب بحق الشعب الفلسطيني الأعزل، في انتهاك صارخ لكل الأعراف والقوانين الدولية".

جاء ذلك في بيانٍ اصدرته الكتلة عبرت فيه عن رفض حالة الصمت العربي والدولي إزاء ما يحدث من مجازر وحشية على أيدي الصهاينة النازيين الجدد، وبشكل خاص منذ السابع من أكتوبر الماضي، وقالت: "إن هذا الصمت المريب، وما يترافق معه من ضخامة الدعم السياسي والعسكري واللوجستي من قبل الدول الاستعمارية، بقيادة الولايات المتحدة الأميركية ومجموعة دول حلف الناتو، بات يفضح حالة النفاق الذي تمارسه تلك الدول، والتي طالما شنفت آذان المجتمع الدولي بحديثها المستمر عن حالة حقوق الإنسان في الدول النامية، في الوقت الذي انكشفت فيه ممارساتها اليومية ودورها المفضوح في الدفاع عن جرائم الاحتلال المنهج، سواء في مداولات مجلس الأمن أو داخل الجمعية العامة للأمم المتحدة، ومعارضتها المستمرة للتطبيق العادل لقرارات الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية"

وجددت "تقدّم" رفضها القاطع لكل أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني الغاصب، وعدم مكافأة المحتل على جرائمه التي باتت مرفوضة من جميع شعوب العالم وأحراره وشرفائه، وتطالب النظام الرسمي العربي بالتزام ثوابت الأمة، وقرارات القمم العربية تجاه القضية الفلسطينية، والالتزام بما قدم فيها من قرارات ومبادرات، وفي مقدمتها الاستمرار في دعم حل الدولتين وما جاء في المبادرة العربية المعلنة منذ العام 2002.

فضفضة

عيسى الدرازي

حسنة «تمكين»

قبل أيام، أعلن صندوق العمل «تمكين» عن إجراءات جديدة تستهدف تحسين التدابير الرقابية عبر إقرار الإبلاغ عن المخالفات، حيث دشنت صفحة إلكترونية خاصة للإبلاغ عن المخالفات والتجاوزات المتعلقة ببرامج الدعم عبر موقع إلكتروني خاص، وتأتي هذه الخطوة لإتاحة المجال لجميع الموظفين والعملاء المستفيدين من برامج تمكين من تقديم بلاغاتهم على درجة من السرية، وضمان توجيه الدعم لمستحقيه وتطبيق أعلى المعايير المعتمدة للرقابة المؤسسية، حسب «تمكين».

الخطوات المتلاحقة التي يقوم بها صندوق العمل «تمكين» من أجل المراقبة المكثفة وملاحقة المخالفين وإحالتهم للجهات القضائية تأتي بسبب ظهور حالات استغلال بعض أصحاب العمل لما تقدّمه «تمكين» من دعوم للموظفين، والذي تشمل إحدى صوره الاستغناء عن الموظف المستجد بعد انتهاء فترة الدعم المقدمة من «تمكين» بحجج واهية أو بطرق ملتوية أخرى تكون عبر عقود مُحكمّة ومعدّة مسبقاً للاستغناء عن الموظف حال انتهاء فترة الدعم المقدّم من «تمكين»، وهذه أبشع صور الاستغلال وأقرب ما تكون إلى العبودية.

تهدف «تمكين» عبر برامجها دعم التوظيف، ودعم التطور الوظيفي، وكذلك دعم المؤسسات، وبالتركيز على برنامج دعم التوظيف، تقوم "تمكين" بالمساهمة في دعم نسب متفاوتة من راتب المواطن مستجد التوظيف بناء على مؤهلاته الأكاديمية لمدة معينة من الزمن، على أن يستمر صاحب العمل بعد ذلك في تأمين دفع كامل الراتب بدون الدعم المقدم من «تمكين». برنامج نظري يعتبر طليعياً ورائداً، وفكرته الجوهرية تستحق الإشادة نظراً لما يعانيه مستجدي التوظيف من تدني في الراتب، وفي الجانب الآخر تذرع أصحاب العمل بالوضع المالي للسوق وتراجع الوضع الاقتصادي، وجاءت فكرة البرنامج لتكون حلاً ظرفياً لعلاج مشكلة التوظيف وتدني رواتب الداخلين الجدد في سوق العمل.

ولكن ما حصل من بعض أصحاب العمل اتجاههم للاستغناء عن الموظف بعد ان عمل لديهم لمدة معينة قد تصل إلى ثلاث سنوات، ويتجه لتوظيف آخر حتى يضمن استمرارية الدعم المقدم من تمكين دون انقطاع، ويُرمى الموظف الذي تمّ الاستغناء عنه في دوامة البطالة والبحث عن العمل مرة أخرى.

تقول "تمكين" بأنها شكلت فريقاً مختصاً بالرقابة على برامج الأفراد للكشف عن أي حالات توظيف غير قانوني أو تلاعب في الأجور، وخولت عدداً من موظفي الصندوق صفة مأموري الضبط القضائي. مثل هذه الإجراءات الصارمة من شأنها أن تضع حداً لتجاوزات بعض أصحاب العمل الذين همهم اكتناز الربح بأية ثمن، ومن المهم بمكان مراجعة كافة الإجراءات بالإبلاغ عن المخالفات ومعالجتها وكشف أصحاب العمل المتلاعبين ووقف الدعومات المقدمة لهم ولمؤسساتهم، بل وفرض غرامات مالية تستحق للصندوق بل تسليمهم للجهات القضائية.

الشويخ في ختام أعمال لجنة التحقيق البرلمانية:

نقص حاد في الكوادر الطبية وتأثيرات مباشرة على مستوى الخدمات

من اجتماعات لجنة التحقيق البرلمانية في الخدمات الطبية

قاد النائب الدكتور مهدي الشويخ مؤخراً أعمال لجنة التحقيق البرلمانية في الخدمات الطبية والتي كشفت عن وجود نقص حاد في الكوادر الطبية في مستشفى السلمانية الطبي الأمر الذي أثر عالياً على مستوى الخدمات وراكم مواعيد الانتظار في مختلف العيادات التخصصية.

وفي تصريح له بالتزامن مع انتهاء أعمال اللجنة، قال النائب الشويخ إن لجنة التحقيق حددت مواطن الخلل، فهناك نقص شديد في الأطباء، وتحسينه يتحقق بتوفير الكوادر اللازمة وتحسين المزايا الوظيفية وكذلك يوجد حاجة لتوفير الأدوات والمعدات الطبية وتوفير الأدوية. نحتاج توفير ميزانية مالية جيدة لتطوير واقع مجمع السلمانية الطبي، وتخصيص جزء منها للتوظيف.

وأردف: إن مستشفى السلمانية الطبي شهد خروجاً جماعياً من أفضل كوادره الاستشاريين وممرضيه أصحاب الخبرة والتأهيل تحت عنوان التقاعد الاختياري مما شكل ضغوطات ملحوظة على الخدمات الطبية المقدمة للمواطنين، لم يتم الانتباه لها ومن ثم تفاديها، مما أثر سلبا على صحة المواطنين.

وأضاف: لدينا 48 طبيب وطبيبة من الأطباء المتخصصين والذين أنجزوا (البورد العربي والبورد السعودي)، ولكنهم عاطلون في المنازل. لابد من الاستفادة منهم لسد النقص في أعداد الأطباء الأخصائيين والاستشاريين الذي يعاني منه مستشفى السلمانية الطبي

وتابع قائلاً: لديناً أيضاً الأطباء الجدد العاطلين، (العام الماضي كان عددهم يزيد عن 600) والذي يزداد أعدادهم سنويا ووجوب تدريبهم، ويمكن لصندوق العمل (تمكين) أن يلعب دوراً مهماً في هذه المسألة برفع أعداد القبول في برنامج الطبيب المتدرب المقيم، وذلك في ظل توسع موارده المالية مؤخراً.

وأشار النائب الشويخ إلى مشكلة نقص الأدوية في المستشفيات الحكومية والمراكز الصحية، قائلاً: تردنا شكاوى مستمرة بعدم توافر أدوية مهمة وضرورية في صيدليات المؤسسات الطبية. أحياناً، بعض الأدوية لا تتوافر في الأسواق المحلية بتاتاً.

وهي أدوية ضرورية وأساسية وهذا مقلق للغاية.

وشدد على أن علاج المشكلة يحتاج مصارحة وعدم الهروب والحديث عن أسباب خارجية أو أزمات ومشاكل عالمية.

وأن مشكلة نقص الأدوية مرتبطة أساساً بمحدودية الموارد المالية الموجهة إلى القطاع الصحي مقارنة بالاحتياجات السكانية المتزايدة.

نحتاج بالفعل الى تشكيل لجنة او فريق عمل يضم مجموعة لها خبرة بعلم الأدوية ومجموعة من الأطباء والمستثمرين تحت توصية المجلس الأعلى للصحة لدراسة أسباب نقص الأدوية المهمة والبحث عن شركات مصنعة للدواء جدد، وخاصة من آسيا، والتوصل إلى حلول ومنها الشراء الخليجي الموحد للأدوية وتشكيل الهيكل التنظيمي الخاص بالمخازن المركزية للأدوية، والذي لم يشكل أصلا وذلك من اجل توفير كل ما يحتاجه المريض من أدوية والتركيز على الأدوية الأساسية لعلاج الإلتهابات البكتيرية والفيروسية والفطريات والأمراض المزمنة والقلب والصرع والباركنسون.

هذا وقد خلصت لجنة التحقيق البرلمانية إلى عدم اعتماد هيكل تنظيمي دائم بمراكز الرعاية الصحية الأولية. ورأى الشويخ بأن الوضع الحالي غير سليم إدارياً، وسيؤدي إلى تقصير في أداء الخدمات الطبية دون شك.

التقدمي يدين اغتيال رئيس المكتب السياسي لحركة حماس

أدان المنبر التقدمي استهداف رئيس المكتب السياسي لحركة حماس اسماعيل هنية، في مقر إقامته في طهران، وقال إن هذا الاغتيال جريمة سياسية في سجل الإجرام الصهيوني المتواصل ونموذج للاستهتار الصهيوني بكل الأعراف والتقاليد الدبلوماسية المتعارف عليها في العلاقات الدولية.

وأشار التقدمي إلى أن: « ملية الاغتيال في هذا التوقيت خطوة نوعية لتصدير أزمة السلطة الصهيونية إلى خارج حدود الأراضي المحتلة، يسعى الاحتلال من وراءها إلى صناعة انتصار وهمي بعد فشل متواصل في تحقيق نصر على المقاومة الفلسطينية الباسلة التي كشفت الغطاء عن الصورة الوهمية لجيش الاحتلال الصهيوني».

وشدد التقدمي على أن: «واقعة الاغتيال بالنسبة لقيادي في المقاومة الفلسطينية واحدة من التضحيات في مسيرة التحرير التي يخوضها الشعب الفلسطيني، كغيرها من حالات الاغتيال التي طالت العديد من قيادات الشعب الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية إلا أنها لن تثني عزيمته وسعيه المتواصل لتحرير أرضه من دنس الاحتلال".

الراحل مصطفى التمار

الثاني عشر من يونيو ٢٠٢٤ كان موعد الرحيل الأبدي للرفيق والصديق مصطفى سلمان التمّار، في وقتٍ كان المنبر التقدمي يقيم حفلاً تأبينياً لثلاثة من الرفاق، نصير لجبهة التحرير الوطني البحرانية ورفيقين منتميين للجبهة منذ مطلع ستينيات القرن الماضي، فما أصعبه من ظرف لاسيما وأن الرفيق مصطفى التمار كان عضواً ناشطاً وبارزاً في الحراك الانتخابي البرلماني للمنبر التقدمي منذ تأسيسه.

حسن جاسم رضي

مصطفى التمار كان عضواً ناشطاً وبارزاً في الحراك الانتخابي البرلماني للمنبر التقدمي منذ تأسيسه

الرحيل حالة بديهية وملازمة لحياة البشر، لكن ما هو أصعب على المرء رحيل إنسان يتحلى بالروح الرفاقية كباقي الرفاق اللذين غيّبهم الموت واحداً تلو الآخر تباعاً، وآخرهم الرفيق مصطفى التمّار الذي يحظى بمكانته السياسية والاجتماعية في ظرف يكون المجتمع وحركته السياسة بأمسّ الحاجة إليه، لاسيما وأن الرفيق اتصف طوال حياته بالصدق والإخلاص والأخلاق الحميدة المتميزة في علاقاته الاجتماعية والسياسية وحتى الأسرية، التي من خلالها يكن له كل الأهل والأصدقاء والرفاق الاحترام والتقدير، كونه مناضلاً صلباً بكل ما تعنيه الكلمة من معان في الدفاع عن مصالح المجتمع دفاعاً مستميتاً متمسكاً في ذات الوقت بمبادئه الفكرية والاممية، تلك المبادئ التي تمثل بالنسبة إليه بوصلة العمل السياسي في الدفاع عن حقوق الشغيلة الكادحة من جانب، وضد الاستعمار البريطاني الغاشم الداعم للأنظمة الاستبدادية من أجل إرساء الحرية والديمقراطية والسلم من جانب آخر.

إن الرفيق مصطفى التمار كباقي الرفاق الآخرين الذين لن ينساهم التاريخ، لأن تفانيهم وعطائهم في شتى ميادين الحياة السياسة والاجتماعية وتضحياتهم الدؤوبة منذ ريعان شبابهم، هو الباقي في الذاكرة، وما سيسجله التاريخ لهم هو إصرارهم الشديد التمسك بمبادئهم ومعتقداتهم الفكرية، وهم من ساهموا بنشر تلك الأفكار النيرة المستمدة من النظرية الماركسية اللينينية في الوسط الاجتماعي، كما ضحوا بالغالي والنفيس من أجل الحرية وإرساء الديمقراطية في البلاد، هادفين بذلك تحقيق الحياة الحرة الكريمة لكافة المجتمع البحريني دون تمييز طائفي وعرقي ومذهبي وما شابه ذلك، نابذين بنضالهم السياسة الاستعمارية «فرق تسد» والمطالبة المستمرة بضرورة إرساء وتجسيد شعار الوحدة الوطنية على أرض الواقع، فما نشهده اليوم من تطوّر في جميع المستويات هو نتيجة لتلك التضحيات التي قدّمها العديد من شرفاء هذا الوطن، ومن بينهم الرفيق مصطفى التمار، الذي أفنى شبابه بالعمل المتفاني المشبع بالصدق والاخلاص نحو مجتمعه وشعبه وأسرته، لاسيما وأنه منحدر من عائلة كادحة مثقفة متفانية في التضحية والعطاء.

مصطفى التمار أحد أعضاء جبهة التحرير الوطني البحرانية منذ صغر سنه، وتدرج في العمل الحزبي، فكان كادراً مرموقاً وناشطا حيوياً يشهد له بذلك كل من عاصره في العمل السياسي وميدان العمل المهني من أصدقاء ورفاق، وكان يحيي مناسبات ميلاد الجبهة وتأسيس الشبيبة في فترة قانون أمن الدولة السيئ الصيت، تلك الظروف العصيبة المصاحبة لقانون القمع والإرهاب، ونتيجة لنشاطه الدؤوب تعرض للاعتقال مرتين، كانت الثانية منهما ضمن الضربة القاسية للجبهة والشبيبة في العام 1986 والتي شملت العديد من الكوادر اللامعة شملت رفيقات تعرضن

للتعذيب النفسي طوال فترة الاعتقال التي دامت ما يقارب الشهرين، أما الرفيق مصطفى التمار وبقية الرفاق فقد لاقوا أشد أنواع التعذيب النفسي والجسدي الذي أدى إلى استشهاد الرفيق هاشم العلوي نتيجة ما تعرض له من تعذيب وحشي.

وخوفاً من تزايد عدد الشهداء قدّم بقية الرفاق لمحاكمات صورية فصدر الجكم بحق الرفيق مصطفى التمار بالسجن لمدة خمس سنوات وبعد خروجه من السجن لم يكن نادماً أو يائسا بل واصل طريقه في العمل السياسي والمهني على حد سواء، فكان متفائلا بالمستقبل المشرق لبلاده ولشعبه حيث انه أصبح متابعا للأوضاع السياسية في الداخل والخارج، إلى جانب مزاولته العمل المهني في الاشراف الهندسي المعماري للبناء والتعمير حتى آخر نفس من حياته.

في الختام لا يمكن القول إلا لروحك يارفيق السكينة والخلود.

قطـــاع النقـــابـــات بالتقـــدمـــي
يـدعـو للنهـوض بـواقـع الحـركـة العمـالـيـة والنقابية

شدد المنبر التقدمي عبر لجنة قطاع النقابات العمالية والمهنية على أهمية اتخاذ خطوات جريئة ترسخ علاقات التعاون البنّاء والشراكة الفاعلة بين أطراف العمل والإنتاج من قطاعات الأعمال والشركات والعمال، وفي هذا الصدد رحبت اللجنة بالاتفاق الجماعي الذي تم التوصل إليه مؤخراً بين نقابة الطيارين وشركة طيران الخليج.

وقال قطاع النقابات العمالية والمهنية إن الاتفاق ارتكز على قانون العمل في القطاع الأهلي وحقق رغبة الطرفين في استقرار العلاقة الإيجابية بين النقابة والشركة بما يخدم مصلحة الطرفين بعد نزاع تم تسويته أخيراً بشكل ودي وهو أمر مرحب به. ودعت اللجنة بقية الشركاء في جميع الشركات للاقتداء به من أجل خلق العلاقات الإيجابية بين الشركات والعاملين فيها دون نزاعات أو خلافات تؤثر على مسار العمل ومصالح العمال باعتبارهم شركاء رئيسيين في دعم عجلة التنمية والاقتصاد الوطني.

وأوضح القطاع بأن: «الاتفاق بين نقابة الطيارين وشركة طيران الخليج مدته 3 سنوات قابل للتمديد لمدة عام واحد، إلا أنه بالرغم من ذلك يمثل خطوة إيجابية بعثت روح التفاؤل في استمرار العلاقة الإيجابية التي يمكن البناء عليها وفتح آفاق جديدة لها لما بعد تلك المدة طالما ظلت المصلحة العامة فوق كل اعتبار، كما تتطلع اللجنة من شركة طيران الخليج وجميع الشركات العاملة في البحرين إلى وضع هدف الإحلال والبحرنة في صدارة أهدافها وإعداد الخطط والبرامج الكفيلة لتحقيق ذلك على النحو المنشود.

واكدّ القطاع على حاجة سوق العمل البحريني لحزمة من الإصلاحات المطلوبة لمواجهة التشوهات التي تعتري سوق العمل البحريني وتعطل هدف جعل المواطن البحريني الخيار الأول فعلياً في سوق العمل، وتحد من مستويات البطالة المرتفعة في صفوف البحرينيين، كما حثت المعنيين بالشأن النقابي والممسكين بدفة الأمور في الاتحادات العمالية والقيادات في النقابات العمالية إلى بذل مزيد من الجهود في سبيل الارتقاء بواقع الحركة العمالية والنقابية والحد من الاختلافات والصراعات البينية داخل الحركة العمالية والتي تعيق دور هذه المنظمات من تأدية واجبها في الدفاع عن حقوق ومصالح الطبقة العاملة.

كتلة تقدم البرلمانية:
نبارك الاتفاق الجماعي بين نقابة الطيارين وشركة طيران الخليج

باركت «كتلة تقدم البرلمانية» الاتفاق الجماعي الذي تمّ إبرامه يوم أمس الأول بين نقابة الطيارين والإدارة التنفيذية لشركة طيران الخليج، الناقلة الوطنية لمملكة البحرين.

وأوضحت الكتلة أنها طالما دعت وطالبت بضرورة استمرار وتعزيز التعاون بين النقابات المختلفة والإدارات التنفيذية للشركات الوطنية وغير الوطنية، تعزيزا للمصالح العمالية، وتحقيقا للاستقرار الوظيفي وزيادة الإنتاجية، واحترام دور ورسالة ومطالب النقابات العمالية في هذا الشأن.

ورأت كتلة تقدم أن الاتفاق المبرم بين إدارة شركة طيران الخليج ونقابة الطيارين جاء ثمرة لجهود امتدت لفترة طويلة واجتماعات عديدة، أعقبتها تفاهمات وسحب لقضايا عمالية بقيت معلقة في المحاكم لفترات طويلة، والتي تم حسمها على قاعدة من التفاهم والحرص على سمعة الشركة ومصلحة العاملين فيها ومصلحة أسرهم ومعيليهم.

واعتبرت «كتلة تقدم» أن هذا الاتفاق يعدّ نجاحاً مميزاً يُحسب لإدارة الشركة ولمجلس إدارة نقابة الطيارين على حد سواء، ويعدّ بحق أنموذجا نتطلع إلى أن تحذو حذوه إدارات تنفيذية عديدة لشركات وطنية وغير وطنية، ونقابات عمالية تبحث عن تفاهمات وحلول لقضايا عمالية لازالت معلقة في المحاكم.

وأشادت الكتلة بالجهود التي قامت بها قيادات نقابية مخلصة في نقابة الطيارين وإدارة شركة ناقلتنا الوطنية، متمنين لطيران الخليج وكافة العاملين فيها كل تقدم ونجاح.

وكانت شركة طيران الخليج وقعت اتفاقية عمل جماعية مع نقابة طياري طيران الخليج، تحدد بموجبها شروط وأحكام تشغيل الطيارين والبدلات التي كانت محل نزاع لعدة سنوات، في خطوة تنهي المفاوضات بشكل ودي بين الطرفين.

أعرب الرئيس التنفيذي لمجموعة طيران الخليج عن سعادته بتوقيع اتفاقية العمل الجماعية مع النقابة التي تحدد شروط وأحكام بدلات الطيارين الحاليين، وتضع الأساس للتوظيف المستقبلي بما يتماشى مع أحكام قانون العمل، مؤكداً أن هذه الاتفاقية تفتح فصلًا جديدًا من العلاقة بين الإدارة التنفيذية والنقابة.

كما أعرب رئيس نقابة طياري طيران الخليج، عن امتنانه للإدارة التنفيذية في شركة طيران الخليج على النتيجة الإيجابية التي توصلت إليها المفاوضات بين الطرفين. مقدماً الشكر والتقدير لجميع الطيارين على دعمهم المستمر لعمل النقابة وإخلاصهم في موقع العمل، مما يعكس تفانيهم وجهودهم. مهنئاً الطيارين وأسرة طيران الخليج على هذا الإنجاز الذي يأتي كثمرة للتعاون والتفاهم بين جميع الأطراف المعنية، ويسهم في تعزيز بيئة العمل ويدفع الطيارين إلى المزيد من العطاء والإخلاص.

النقابات العمالية الأقرب لرصد المتغيرات بسوق العمل

لازلنا بانتظار ما تمخض عنه الاجتماع المشترك الذي عقد مؤخرا بين كلا من وزارة العمل ووزارة التربية بشأن دراسة أوضاع العاملين في الروضات والحضانات، هؤلاء فئة ظلمت كثيراً ولسنوات بسبب عدم وجود حد أدنى لأجور العاملين في الروضات والحضانات بشكل عام، وآن الأوان لإنصاف ومساعدة تلك الشريحة وتطوير إمكاناتها، علما أن دور الروضات والحضانات تأسيسي بالنسبة لاستدامة العملية التعليمية.

تشريعات مطلوبة لكي يخفض الاقتصاد الرقمي البطالة

دعا الأمين العام المساعد للشباب العامل بالاتحاد العام لنقابات عمال البحرين أحمد علي إلى ضرورة إيجاد آلية تعاون بين الجامعات ومؤسسات التعليم العالي، وبين الشركات التجارية في البحرين، وذلك لبحث سبل التعاطي مع التحديات الجديدة في سوق العمل في ضوء تطورات الذكاء الاصطناعي والتوجه نحو العمل الرقمي.

وناقش علي في ورقة قدمها في ندوة عمالية أزمة مخرجات التعليم وعلاقتها بالتحول نحو العمل الرقمي في سوق العمل، حيث شدد على ضرورة تفعيل الحوار الاجتماعي بين المؤسسات التعليمية والتجارية والعمالية. مشيرًا إلى أن التحولات الجديدة في سوق العمل ينطوي عليها تحولات في مفاهيم حقوق العمال ومتطلبات العمل.

جاء ذلك في ندوة نظمها الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين بعنوان «الاقتصاد الرقمي وتحديات الشباب»، من جانبه أكد الأمين العام للاتحاد العام لنقابات عمال البحرين عبدالقادر الشهابي في مداخلة له أن التوجه نحو الاقتصاد الرقمي ينبغي أن يخفض معدلات البطالة في بلدان الخليج العربي لتكون أدنى بكثير، إذا ما صاحبته التشريعات الضرورية، مشيرًا إلى أن التوازن بين التنمية وتشغيل الكوادر الشابة الوطنية هو ما يعطينا مساحة لاستثمار هذه التقنيات الجديدة، مؤكدًا على الحاجة إلى التكامل الذي ينبغي أن يكون الهدف الرئيسي للتنمية.

في المقابل، أكد نائب الأمين العام حسن الحلواجي أن التخوف الحقيقي ليس من خسران الوظائف، في مقابل ملايين الوظائف التي ستختفي هناك ملايين أخرى ستظهر، لكن بأشكال مختلفة، إنما التخوف هو من أن تغير هذه الوظائف شكل وطبيعة العلاقة فيما بين العامل وصاحب العمل، مما سيؤثر على تغييرات في العمل النقابي والحماية الاجتماعية، داعيًا إلى المسارعة في وضع حلول لهذه التغيرات، من أجل تغليب مفهوم الحماية الاجتماعية للعمال.

الأيام: 18 أغسطس 2024

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

بمناسبة ذكرى التأسيس

نقابة عمال البـا تكـرّم رواد العمل النقابي

كرمت نقابة عمال البا رواد العمل النقابي بالتعاون مع الاتحاد العالمي للنقابات(WFTU)، من الذين ساهموا في الدفاع عن مصالح الطبقة العاملة والحفاظ على مكتسباتهم امام الإدارات التي تعاقبت في قيادة شركة ألمنيوم البحرين "البا" وفي البحرين بشكل عام، إضافة إلى ذلك تم تكريم مجموعة من عمال البا الأوفياء نظير جهودهم المستمرة في العملية الإنتاجية بالشركة وعطائهم المتميز وإخلاصهم في العمل، يأتي ذلك بالتزامن مع الذكرى السنوية لتأسيس نقابة عمال ألبا.

رؤية 2050.. ما قبل وما بعد

في إطار التحضير للرؤية الاقتصادية للبحرين ٢٠٥٠، من المهم، ان يكون هناك نقاش جاد وواسع حولها، هو من الأهمية بحيث انه يفرض حراكاً استثنائياً من قوى المجتمع ومؤسساته بحيث يكون لكل الأطراف دور ومساهمة، طالما الأمر يتصل ببلورة الرؤية المستقبلية والأولويات التى يتوجب التركيز عليها فى بناء مستقبل البحرين، ولا ننسى ان هناك توجيهاً من سمو ولي العهد رئيس الوزراء الذى حين أعلن عن مشروع الرؤية الجديدة، دعا إلى "البدء فى مشاورات مع السلطة التشريعية والقطاع الخاص والروابط المهنية والهيئات النقابية وجمعيات ومؤسسات المجتمع المدني للتحضير لهذه الرؤية"، وهذا يعنى أن الحكومة وكل تلك الجهات مدعوة للقيام بدورها للمساهمة فى بلورة الرؤية الجديدة للمستقبل التى يفترض ان تشكل خارطة طريق محددة تتم مواءمتها من خلال خطط تنفيذية محددة، وآليات داعمة، وقيادات مؤهلة قادرة على مواجهة التحديات وعلى رسم وتحديد الأولويات واتخاذ القرارات الصائبة وبلورة منظومات عمل فعالة.

خليل يوسف

هذا التوجيه يعنى ضمن ما يعنيه دعوة إلى العمل المشترك، ونفترض أو نتمنى أن يعنى ذلك اعترافاً بدور المجتمع المدني فى كل شيئ بما فى ذلك المشاركة فى إعداد الرؤية المستقبلية الواعدة للبحرين والتى ينشدها ويعمل في إطارها الجميع، وذلك أمر إن تحقق كما يحب يرفع من المعنويات وروح التفاؤل فى أوساط كل البحرينيين، لأنه يبلور الأولويات والاهتمامات والبرامج والمشاريع التى يتطلع اليها الجميع، ليس فقط فيما يتصل بالوضع الاقتصادى والمعيشي للمواطن ويدفع الى ما يحقق جودة الحياة ومن ثم تحقيق ما يمكن وصفه بالمفاجأة الإيجابية، بل إضافة إلى ذلك النهوض بواقع جمعياتنا ومؤسسات مجتمعنا المدنى وإزالة كل القيود التى فرضت عليها وكبلتها وحدّت من حضورها ونشاطها فى المشهد المحلي، لذلك فإنه من الضرورة والمصلحة مراعاة ذلك وأن يأخذ ذلك التوجيه، أو ذلك الطموح مساره الصحيح من حيث الالتزام والاعتراف الحقيقي بدور المجتمع المدني ومؤسساته ولا يسقط فى حمى الشعارات الآنية والمراوحات الدائمة.

لن نجادل فى موضوع هذه الأولويات التى يجب أن تتضمنها الرؤية الجديدة، ففي ذلك مضيعة للوقت لأنها معروفة وجرى طرحها وتداولها فى أكثر من مناسبة، وعلى أكثر من مستوى وفى أكثر مؤتمر وندوة عامة، هناك أولويات فى كل شأن لا يمكن التعمية عليها أو التعامي عنها، كما لا يمكن إغفال اهمية نوعية المبادرات والمشاريع التى ستنفذ ضمن خطة عمل الحكومة، ولا بد أن يرتبط ببرنامج زمني محدد، بالإضافة إلى مراعاة تحقيق هدف الاستدامة المالية والتنمية الاقتصادية ورأس المال البشرى الوطني والرعاية الاجتماعية والكفاءة الإدارية والحوكمة والبرلمان المعتبر الذى يمتلك كامل الصلاحيات فى الرقابة والمساءلة.

لا يمكن النظر إلى بحرين المستقبل بشكل جزئي، ودون عمل تكاملي تتوزع مهامه على المؤهلين والناجحين وأصحاب الكفاءات فى كل الميادين

وما ينبغي التأكيد عليه أولاً بأنه لا يمكن النظر إلى بحرين المستقبل بشكل جزئي، ودون عمل تكاملي تتوزع مهامه على المؤهلين والناجحين وأصحاب الكفاءات فى كل الميادين ممن يمتلكون القدرة على رفع المعنويات وخلق عمل تكاملي بين العديد من الوزارات والهيئات والمؤسسات ومنها بطبيعة الحال مؤسسات المجتمع المدنى، وفى المقدّمة منها جمعياتنا السياسية، كما ينبغي التأكيد ثانياً بأنه لابد من مراعاة أن تكون الرؤية ديناميكية، أي ليست جامدة وقابلة للتكيّف والتطوّر والتعديل، بما يناسب المرحلة والظروف والتحديات، وهذا شيئ إيجابي وليس سلبياً إطلاقاً لأنّه يعنى أن الرؤية مرنة وقادرة على التكيّف والتغيير والتطوير ومستجيبة للفرص الجديدة والتحديات المستجدة غير المتوقعة.

كما ينبغي التأكيد ثالثاً بأن التطرق إلى مسألة التنمية عموماً حين لا تأخذ بالاعتبار الأوجه الاقتصادية والاجتماعية المتشابكة ومعها التشوهات والرضوض التى اصابت مناعتنا المجتمعية، تكون هذه التنمية قاصرة ومقصرة فى بحثها وبلوغ أهدافها المرجوة لأن شروط التنمية الحقيقية تعتبر المواطن هو المحور والأساس والهدف، وإذا كان هناك إيمان حقيقي بذلك فلابد من العمل على أساس العلاقة الترابطية بين الاقتصاد بالإدارة، بالحياة السياسية، بالاجتماع، بالقانون، بالتعليم، بالعمل، بالمنظومة الفكرية التى توجه حركة المجتمع، كما لابد من مواجهة حصيفة ومقنعة للمخزون الهائل من الإحباط والبطالة ومنظومة الفساد وكل ما يواجه مجتمعنا ويضعف معنوياته عبر مبادرات جريئة تفتح باب الأمل لرؤية مستقبلية واعدة .

كما لن نبلغ التنمية الحقيقية والمنشودة بدون تحقيق العدالة الاجتماعية، وبالتالى فإن الحكم العادل، والإدارة النزيهة والكفؤة، وصيانة حقوق الإنسان، وحرية الرأي والتفكير، وتكافؤ الفرص، وحيوية المجتمع المدني، وحتى حماية البيئة هى بعض الشروط المطلوبة، وعليه فإن التركيز فقط على النمو الاقتصادي لن يؤدي الى النتائج المرجوة ما لم تتحقق التنمية بأبعادها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ذلك يؤدى إلى أمر حيوى ومهم هو اقتناع الجميع بأن الرؤية هى رؤية الجميع، رؤية تضع الجميع امام مسؤولياتهم.

ذلك يعنى أن الرؤية لابد أن تحيط بكل الجوانب وكل التشعبات فى وقت واحد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً و صحياً وتعليمياً وثقافياً ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً فيما بينها، وأن أي محاولة للتطرق إلى أي مسألة من تلك المسائل وبلوغ ما يحقق التنمية المستدامة وتحسين جودة الحياة، إذا لم تأخذ فى الاعتبار تلك الروابط والتشابكات فإن الرؤية تكون قاصرة ومقصرة فشروط التنمية إذا كانت تعتبر المواطن حقاً هو المحور والأساس والهدف تفرض الالتزام بكل تلك الروابط فهى التى توصلنا الى الأهداف المنشودة والتطلعات المستهدفة، ولا ننسى وجوب أن يتم ذلك وفق سياسات تتسم بالشفافية والقياس والمتابعة والمساءلة والمحاسبة والمدى الزمنى للتنفيذ لكل خطوة أو برنامج أو مشروع.

هناك جانب لم يعط حقه من العناية والاهتمام لا فى الرؤية الحالية ولا فى اي خطة او برنامج، وهو الجانب المتصل بالبعد الثقافي، الثقافة لا يجب أن تكون غائبة عن الرؤية الحالية والمقبلة، أو تكون الفريضة الغائبة عن برنامج الحكومة والرؤية المستقبلية، فالثقافة هى القوة البناءة والرافعة الأساسية للمبادرات الإيجابية ولكل ما تعتزم الحكومة القيام به من خطط وبرامج مستقبلية، فمن خلالها يمكن أن ننهض بالوعي والوجدان الوطني، ونرسخ مبادئ ومفاهيم المواطنة،

شـروط التنميـة الحقيقيـة تعتبـر المـواطـن هـو المحـور والأسـاس والهـدف

لا بدّ من مراعاة أن تكون الرؤية ديناميكية، غير جامدة وقابلة للتكيّف والتطوّر والتعديل

هى العامل المشترك الذى تلتقى تحت ظله كل تلك الأهداف وغيرها من الأهداف والتطلعات التى تنهض بالوطن.

هناك أمر آخر مهم يجب أن يؤخذ فى الاعتبار وهو الحاجة إلى سياسات استباقية لمواجهة أي متغيرات أو تحديات محتملة بعيداً عن سياسة المسكنات ومعالجة المشكلات بنظرة قاصرة لا تجعلنا نمضي فى الاتجاه المطلوب الملبي للتطلعات والطموحات، بل تبقينا نراوح، نردد الشعارات والعناوين التى لا تنتهي صلاحيتها ولا تحقق نتائج ملموسة، ولا تؤدى إلى مخرجات واضحة لنظل نراوح مكتفين بترداد العناوين والشعارات البراقة من نوع: نحن الأحسن، نحن الأفضل، نحن فى الصدارة، نحن فى المقدمة، إلى جانب عناوين اخرى شكلية تتقنها البيروقراطية بينما واقع الحال مختلف والمواطن لا يشعر بإنعكاس ذلك على واقعه.

إذن المطلوب هو التركيز على نوعية النمو والتنمية وليس معدلات النمو، وعلى ما يحقق الإنجازات الفعلية ويضع أسساً قوية للنجاح، ويحارب الفساد وكل أوجه الخلل والقصور والإهمال لأن ذلك يتقاطع مع أهداف اي رؤية طموحة حالية او مستقبلية، وعلى هذا الأساس لابد من الاهتمام بما بات يقاس عليه الحديث عن تقدم الأمم الاقتصادى من معايير أهمها نوعية الاستثمارات، نوعية قوة العمل، نوعية التعليم، نوعية الصادرات، نوعية التنمية والابتعاد عن المنطلقات المغلوطة للتنمية، ونكرر للأهمية انه لابد من ادراك أن التنمية عملية مجتمعية متشابكة متكاملة متفاعلة فى إطار من الروابط بالغة التعقيد من عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وإدارية وتعليمية وكل ما يؤدى إلى تغيير بوصلة تفكير المواطن وتحفيزه على أن يكون متطلعاً الى وضع ومستقبل أفضل، وضع يمهد الأرضية من خانة الأحلام والتطلعات والأمنيات المستقبلية الى خانة الأفعال المدروسة المتسلحة بالعزيمة والإرادة على النهوض بوطننا على أسس قوية، ومرتكزات علمية تحقق لنا على الدوام انجازات حقيقية مستدامة يلمسها الجميع ويطمح اليها الجميع.

ما يتوجب الإنتباه إليه هو أن التمهيد لصياغة أي رؤية جديدة يفرض قبل كل شيئ تشخيصاً جريئاً وشفافاً لمجريات وما تحقق من مستهدفات الرؤية الحالية التى تمتد حتى 2030، ما تحقق ومالم يتحقق، وتحديد المعرقلات والأساسيات ومدى فاعلية السياسات والاجراءات الاقتصادية التى تم تطبيقها منذ بداية الإعلان عن رؤية 2030، ومدى نجاحنا فى تجاوز أي عطب فى ترتيب الأولويات خاصة تلك التى المتصلة بتوظيف مواردنا بما فيه الكفاية للحصول على اكبر عائد ممكن وتفادى تناقض أحوالنا، ومدى ما وفرناه من مرتكزات ووسائل تُفعل هذه الرؤية بالشكل المطلوب والمستهدف مع تبني سياسات استباقية لمواجهة اي متغيرات او تحديات متوقعة او غير متوقعة، والاعتماد على ضخّ دماء وقيادات شابة فى مختلف القطاعات، وهنا لابد من التطبيق الصارم للتنافس الشريف فى توزيع الوظائف والمناصب فى سبيل الوصول إلى هدف الإدارة المحترفة والمتخصصة، وأن يحظى سوق العمل البحريني بالكثير من برامج الإصلاح الفعلي والتحديث الجدى بما يسهم فى تعزيز الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، ويحقق فعلياً هدف الأولوية للمواطن البحرينى فى سوق العمل ويحقق اهداف التنمية المستدامة من تلك النواحي، ومن تلك النقاط بالذات، ومن باب لزوم ما يلزم من الضرورى الإقرار بأهمية ارتباط كل تلك الأهداف والتطلعات بالتحلي بجرأة تقييم الرؤية الاقتصادية 2030 والوقوف على أوجه القصور والمقصّرين والمعطلين لمساراتها ومقتضياتها حتى لا نظل نتباعد فى الأهداف المتصلة بالرؤية الجديدة، ونتقاطع فى طرق تنفيذها، وحتى لا يكون محصول هذه الرؤية قشاً فارغاً بلا محصول. دمتم وعاشت البحرين.

تســـاؤلات مشـــروعـــة حـــول رؤيـــة البحـــرين ٢٠٥٠

في التاسع عشر من شهر فبراير من العام الجاري، وبعد اجتماع لمجلس الوزراء تمّ الاعلان عن التوجه نحو رؤية البحرين ٢٠٥٠. يأتي هذا الإعلان في وقت تبقت فيه فقط ست سنوات على استكمال مستهدفات رؤية البحرين ٢٠٣٠ الحالية التي تمّ اطلاقها منذ اكتوبر ٢٠٠٨ بما حملته حينها من مقوّمات رئيسةً هي: العدالة والتنافسية والاستدامة، في محاولة استشراف لمستقبل الاقتصاد الوطني والتنمية في مملكة البحرين.

عبدالنبي سلمان

كُتب الكثير حول تلك الرؤية وأهدافها والمؤمل منها، وقد تداولتها النخب التجارية والاقتصادية والسياسية والمهتمون بسوق العمل من زوايا عديدة عبر ندوات ونقاشات لم تتوقف حتى اللحظة، ويُحسب للرؤية أنها زادت من حيوية وتطلعات مجتمعنا البحريني تجاه ما تطمح له الرؤية من اهداف، خاصة وأنّها تركز بشكل واضح على جملة أهداف بمثابة طموحات، من بينها زيادة الشفافية وجعل البحريني الخيار الأفضل في سوق العمل وإيجاد فرص نوعية للبحرينيين في السوق، علاوة على وضع مؤشرات قياس واضحة لما يمكن إنجازه من خلال الرؤية، وباعتقادي أن مجرد وضع الرؤية، أي رؤية، يعني أن هناك توجهاً عاماً لدى الدولة بشكل عام نحو تحقيق أهداف تنموية محددة في مجابهة تحديات تنموية ومعيشية واقتصادية واجتماعية تستشعرها الدولة، وهي تؤشر بوضوح على توجه محدد خلال فترة زمنية معلومة، وهذا امر مطلوب على باية حال.

ما أردنا نقاشه هنا أن التساؤلات التي طُرحت في الشارع البحريني حيال رؤية البحرين 2050 المفترض ان تطلق بحسب توجيه سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء قبيل نهاية العام الجاري 2024 تحتاج من القائمين عليها إلى مزيد من الاصغاء والتأمل، خاصة ونحن كمتابعين لم نعرف بعد ما الذي تحقق بالفعل من اهداف في الرؤية الحالية والتي لازال أمامنا سنوات لاستكمالها!

يضاف إلى ذلك أن المقومات الثلاثة الأساسية للرؤية الحالية حول العدالة، والتنافسية، والاستدامة، هي تحديات لا زالت من وجهة نظرنا ونظر الكثيرين قائمة بالفعل وبقوّة أكبر مما كانت عليه قبل اطلاق الرؤية ذاتها، فأسئلة من قبيل هل توافرت الفرص النوعية للبحرينيين في سوق العمل بالفعل بالمقارنة بما هو عليه الحال بالنسبة للوظائف النوعية في السوق كالمحاسبين والأطباء والممرضين والطيارين والمهندسين والفنيين والمهنيين وغيرهم؟، وهل يستشعر البحرينيون في سوق العمل عدالة الاجور وعدالة الفرص، لا بل هل يستشعر ذلك السواد الأعظم من التجار البحرينيين في السوق من صغار ومتوسطي الشركات الذين يمثلون أكثر من 95٪ من الشركات ويساهمون بأكثر من 40٪ من الناتج المحلي الاجمالي؟، وفي ما يخصّ التنافسية: هل أصبح اقتصادنا تنافسياً بالشكل الذي طمحت إليه الرؤية؟، وأين هي مؤشرات التنافسية التي أنجزت سواء بالنسبة للسوق المحلي، أم حتى على مستوى المنافسة مع دول الجوار المتشابهة معنا في طبيعة اقتصاداتها ومواردها وامكاناتها المادية والبشرية؟! وما الذي أصبح فيه اقتصادنا أكثر تميّزاً، وهل استطعنا أن نحقق نوعاً ولو محدوداً من ذلك التكامل المنشود الذي كثر الحديث حوله مع اشقاءنا في الإقليم، وهل هناك مؤشرات حقيقية على تحقيقنا بعض النجاحات المطلوبة لتنويع قاعدتنا الاقتصادية، بعيداً عن الأرقام الرسمية التي يرى الكثيرون أنها لا تستطيع أن تصمد أمام واقع الحقائق على الأرض.. الخ؟!

أما بالنسبة للاستدامة وهو المقوم الثالث من الرؤية فهل أصبحت لدينا استدامة في شركاتنا ومؤسساتنا واقتصادنا يمكن الاطمئنان إليها والبناء عليها للمستقبل؟! وهل يتسق ذلك مع ما نشهده من خروج شركات مهمة من السوق وفي بعض القطاعات المهمة، علاوة على تراجع امكانات الكثير منها عن الاستمرار في وجه المنافسة الشرسة، بفعل ما احدثه الغموض المحيط بنموذجنا الاقتصادي وهويته الواضحة، وفي ظل تغول ما بات يطرح علينا من اجندات مدمرة من قبل من نعتبرهم شركاء دوليين كالبنك والصندوق الدوليين لتغيير نهجنا الاقتصادي، بحيث بات من الوضوح أن الاتجاه المفرط وغير المدروس للخصخصة وتفرعاتها، يشلّ من ديناميكية وتطور السوق ويلقي بالألاف من العاملين البحرينيين على قارعة التعطل وخسران وظائفهم ويزيد من عجوزات الصناديق التقاعدية ويفاقم الأوضاع المعيشية، ويتسبب بانهيارات سريعة للطبقة الوسطى؟، وللحق نقول إن ما يعلن من أرقام رسمية حول حجم التوظيف ونسب البطالة لا يلقى قبولاً أو يحقق قناعات راسخة لدى رجل الشارع العادي قبل المختصين بأننا نسير بالاتجاه الصحيح!

أسئلة عديدة نثيرها هنا برسم الإجابة عليها من قبل القائمين على رؤية البحرين 2050 قبل إطلاقها نهاية العام الجاري خاصةً واننا وعدنا ان تشرك جميع الأراء والمساهمات من قبل مختلف الاطراف اصحاب المصلحة في اطلاق الرؤية ومن بينهم السلطتين التنفيذية والتشريعية وقطاع الاعمال والنقابات والمجتمع المدني والتيارات السياسية المعنية، والتي يفترض أنها تضع تصوراتها استشرافاً وتشخيصاً لكافة التحديات الاقتصادية والتنموية والمعيشية لأكثر من ثلاثة عقود من الآن، واضعين في الاعتبار حجم التحديات وطبيعة الاقتصاد ومؤشرات التنمية التي نطمح لها والتحولات العالمية القادمة على مختلف الصعد، والتي نطمح أن نعالجها بحسّ وطني وعزيمة واصرار وصدق وشفافية تتجاوز أحلامنا ورغباتنا المجردة التي دونها الكثير من المصاعب والتحديات، آخذين في الاعتبار أن طموحات شعب البحرين وقيادته السياسية وتياراته المجتمعية ومؤسساته الاقتصادية تتجاوز كثيراً ما هو مرسوم على الورق من رؤى، وأن قدراتنا كشعب وما نختزنه من آمال كفيلة بأن تحيل المستحيل أملاً وانجازات لا تتوقف إذا ما آمنا بالفعل بالإنسان البحريني أولاً، وسخرنا له الأدوات والإمكانيات والدعم الحقيقي مستفيدين من تجاربنا السابقة بما لها وعليها عبر وضع مؤشرات قياس حقيقية وأكثر مصداقية.

بصراحة

١٤ أغسطس يوم الاستقلال الوطني للبحرين

فاضل الحليبي

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥، والانتصار الكبير الذي حقّقه الحلفاء على القوات النازية والفاشية والعسكرية اليابانية، وبروز الاتحاد السوفياتي كقوة عظمى وقيام منظومة الدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية، توالت انتصارات حركات التحرر الوطني ضد المستعمرين في العديد من بلدان العالم، كان أبرزها نيل الشعب الهندي حريته واستقلاله الوطني من المستعمر البريطاني في ١٥ أغسطس من عام ١٩٤٧، بعد ثلاثة قرون من الاحتلال والاضطهاد. كان هذا بمثابة هزيمة كبرى لبريطانيا العظمى، الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، وإذا بها تخسر العديد من مستعمراتها حول العالم، لهذا جاء انسحابها من عدن بعد هزيمتها على أيدي ثوار الجبهة القومية في عام ١٩٦٧، ولهذا جاء قرارها بالانسحاب من الخليج العربي، والتخلّي عن قواعدها العسكرية.

شكّل ذلك صدمةً لحكام المنطقة، حيث طرح، يومها، السؤال: من سيملأ الفراغَ بعد هذا الإنسحاب، هل شاه إيران، الذي كان يطالب بضمِّ بلادنا البحرين إلى إيران. كان حكام الخليج على قلق، فدارت حوارات ولقاءات بين حكام المنطقة حول تشكيل الاتحاد التساعي ولكنهم لم يتوافقوا عليه، وبالأخص البحرين وقطر، وأصبح الخيار فيما بعد تشكيل اتحاد سباعي، حيث تمّ الإعلان عن قيامه واستقلال اماراته عن بريطانيا في الثاني من ديسمبر عام 1971 باسم (الإمارات العربية المتحدة)، بادئ الأمر لم تنظم إليهم رأس الخيمة ، انظمَّت لاحقاً في فبراير من عام 1972.

كتب النائب السابق الأستاذ علي ربيعة مقالاً نشر في شهر أغسطس 2012 على موقع التقدمي معلوماته على شكل تقرير من الأرشيف البريطاني، حيث يذكر عن إضراب الكهرباء في عام 1968 الذي قاده رفاقنا مناضلو جبهة التحريرالوطني البحرانية:

«تواصلت أعمال الاحتجاج والاعتصامات لتصل الى محطة الكهرباء التي شهدت في شهر إبريل 1968 عدداً من الإضرابات القصيرة التي لم تكن لتؤثّر على إمدادات الطاقة الكهربائية، وقد تمَّ فكُّ الإضراب وتسوية النزاع في نهاية إبريل وذلك بموافقة الإدارة على تعديل رواتب العاملين، وبهذه المناسبة أصدرت جبهة التحرير الوطني في مساء الثاني من مايو 1968 منشوراً تحدثت في مقدمته عن الانتصار الكبير الذي حقّقه عمال الكهرباء و من ثمَّ وجَّهَت الجبهة اتهامها لكل من دائرة الكهرباء و الشرطة والشيخ خليفة (الذي تدخّل في الإضراب) والإمبريالية بشكل عام، وكان النقد اللاذع من نصيب دائرة "العمل والعمال" الحكومية. ولم يغفل البيان الإشارة إلى ضرورة تكوين الاتحادات العمالية وغيرها من الاتحادات مثل الاتحادات الطلابية، وهو المطلب الذي يتماشى وبرنامج الجبهة ويتكرر دائماً في بياناتها، وآخرها البيان الذي هاجمت فيه الجبهة دائرة التعليم).

وعن المطالبة الإيرانية بالبحرين جاء في التقرير: «يعتبر موضوع المطالبة الإيرانية بالبحرين من المواضيع البالغة التعقيد والحساسية التي ورثها شاه إيران من حكومة الدكتور مصدق ومثّلت بذلك ما يشبه الورطة السياسية. فالشاه وجد نفسه بين مطرقة إرضاء الولايات المتحدة والمملكة المتحدة بقبول التسوية السياسية التي تفضي لاستقلال البحرين وسندان كسب رضا الشعب الإيراني حيال أية تسوية وعدم خسرانه للكرامة الوطنية).

من الجدير بالذكر بأن موضوع استقلال البحرين تم تبنِّيه من قِبل هيئة الأمم المتحدة، بحيث يُطرح على شكل استفتاء على شعبنا، هل يريد الانظمام إلى إيران أو يريد استقلاله الوطني ويؤكد على حريته وعروبته بالانتماء إلى الوطن العربي، هذا ما جاء في تقرير المبعوث الدولي الإيطالي وينسبر جيو شاردي.

يضيف الأستاذ علي ربيعة في مقاله نقلاً عن الأرشيف البريطاني: «أمضى المبعوث الدولي عشرين يوما في مقابلاته وخلص التقرير ليعبر عن الإجماع حول عروبة البحرين وإستقلالها. فموقف ممثلي الطائفة الشيعية بمن فيهم رؤساء المآتم والحسينيات لم يكن ليختلف عن موقف أبناء السنة في هذا الموضوع الخطير الذي يتناول مستقبلهم ومستقبل أبنائهم وأحفادهم. ما أن أنهى المبعوث مهمته حتى قفل راجعاً إلى جنيف في 18 أبريل 1970 وذلك لكتابة تقريره للأمين العام للأمم المتحدة السيد يوثانت. وبهذه المناسبة بادرت جبهة التحرير الوطني بإرسال الخطاب التالي إلى ممثل الأمين العام السيد المستر وينسبير جيو شياردي تعبر فيه عن احتجاجها واستنكارها حيال هذه العملية وضمَّنت هذا الخطاب المطالب التالية:

" إن جبهة التحرير الوطني البحرانية ترفض الصيغة الحالية التي قام بها مبعوث يوثانت الشخصي الذي أتى ليثبتَ حقيقة بديهية وهي أن البحرين جزءٌ من الوطن العربي. إن شعب البحرين يطالب الأمم المتحدة ملاحظة النقاط التالية لتقرير مستقبل البحرين السياسي:-

1 – رفض الاستعمار البريطاني والحكم الرجعي وإدانة الإدعاء الإيراني.

2 – إلغاء المعاهدات الاسترقاقية.\

3 – المطالبة بحق تقرير المصير بحيث يكفل الاستقلال الحقيقي.

4 – إبعاد القواعد العسكرية و أجهزة الدمار والحرب.

5 – إطلاق الحريات الديمقراطية.

6 – إزالة حالة الطوارئ لكي يتمكن الشعب من ممارسة جميع حقوقه السياسية في جوٍّ ديمقراطي لا يستند إلى اللون أو العنصر أو الطائفة أو الجنس.

7 – إطلاق سراح المعتقلين و السجناء السياسيين.

8 – السماح للمنفيين بالرجوع الى أرض الوطن.

تجدر الإشارة هنا إلى أن خطاب الجبهة سُلِّمَ إلى المبعوث الدولي في مقر إقامته في فندق الخليج بالبحرين، كما أن رفض الانضمام إلى إيران جاء من جميع مكونات وأطياف الشعب البحريني، من أندية رياضية وثقافية ومنظمات المجتمع المدني، التي أكدت جميعها على السيادة الوطنية والانتماء للعروبة و الوطن العربي .

أي شعب من شعوب العالم يعتز بتاريخه الوطني، ولاسيما نضاله وكفاحه ضد الاستعمار الأجنبي وإخراجه من أرض الوطن، ونيل الحرية والاستقلال الوطني، وهذا ما حدث مع شعبنا البحريني الذي قدَّم تضحيات كبيرة في سبيل حريته واستقلاله الوطني، وجاء الاستقلال بفضل نضالات أجيال عديدة من الحركة الوطنية في البحرين منذ عشرينيات القرن الماضي حتى فجر الرابع عشر من أغسطس عام 1971، عندما تمَّ الإعلان عن استقلال البحرين، وأصبحت البحرين دولة مستقلة ، في نفس الشهر من أغسطس عام 1971 تقدمت للحصول على عضوية في هيئة الأمم المتحدة، وفي شهر سبتمبر نالت العضوية، وتمَّ تعيين الأستاذ المرحوم سلمان الصفار سفيراً لها في مقر هيئة الأمم المتحدة في نيويورك، وكذلك حصلت على عضوية في جامعة الدول العربية.

وبدأت البلاد تهيِّء نفسها للمرحلة القادمة بعد الاستقلال الوطني بالتحضير والإعداد لإصدار دستور للبلاد على غرار الدستور الكويتي، وهذا ما حدث بعد الإضرابات العمالية التي جرت في مارس من عام 1972، وبالفعل صدر الدستور في يونيو من عام 1973 من خلال المجلس التأسيسي، وفي السابع ديسمبر عام 1973، أُجريت أول انتخابات ديمقراطية في البلاد حققت فيها « كتلة الشعب» اليسارية المشكلة من جبهة التحرير الوطني البحرانية انتصاراً كبيراً بإيصال ثمانية مرشحين من أصل اثني عشر مرشحاً للكتلة، ما أحدث قلقاً كبيراً في المنطقة؛ شاه إيران من جهة وبعض دول الخليج من جهة أخرى بوصول «شيوعيين و ديمقراطيين» إلى قبة المجلس الوطني وفي بلد خليجي للتو نال استقلاله الوطني. كانت التجربة البرلمانية الأولى في تاريخ البحرين الحديث، لكنها أُجهضت في السادس والعشرين من أغسطس عام 1975، بحل المجلس الوطني وتعليق بعض مواد دستور 1973، وتمَّ اعتقال العديد من مناضلي جبهة التحرير والجبهة الشعبية وبعض أعضاء كتلة الشعب في الثالث والعشرين من أغسطس 1975 فيما عرف في أدبيات الحركة الوطنية البحرينية بـ«هجمة أغسطس»، وتمَّ تطبيق قانون أمن الدولة ومحكمة تدابير أمن الدولة على المعتقلين والسجناء السياسيين في البلاد .لتطوى صفحة جديدة ورائدة في الديمقراطية والانتخابات النيابية، وتبدأ صفحةٌ سوداءُ تستمر لربع قرن في الوطن حتى فبراير من عام 2001.

قراءة نقدية للمرسوم بقانون رقم (٧) لسنة ٢٠٢٤ بتعديل المادة (٢٨) من قانون المجلسين

حسن إسماعيل

تثبت كل الشواهد منذ صدور دستور ٢٠٠٢، وخلال التجربة البرلمانية في فصولها التشريعية المتعاقبة مدى تغول وهيمنة السلطة التنفيذية على وفي أعمال السلطة التشريعية، فأصبح العمل البرلماني مُقيّداً لاحول له ولا قوة في ظل التشريعات المتعاقبة التي أضعفت صلاحياته في الرقابة والتشريع وفي ظل المراسيم بقوانين التي تصدرها السلطة التنفيذية ما بين أدوار الانعقاد أو ما بين الفصول التشريعية، فاضحت هذه المراسيم بقوانين هي الأصل في العملية التشريعية، ولو حصرنا عدد المراسيم بقوانين التي اقترحتها السلطة التنفيذية، لوجدناها تفوق تلك القوانين التي اقترحها النوّاب وصدرت عن المجلسين طوال الفصول التشريعية.

وقد نال هذا التغوّل من قبل السلطة التنفيذية من مبدأ الفصل بين السلطات الثلاث مع تعاونها وفق أحكام الدستور، وان الشعب مصدر السلطات الذي نص عليه ميثاق العمل الوطني والدستور، فأصبحت نظرية الفصل بين السلطات مع تعاونها التي تشير إليها النصوص الدستورية يكذبها الواقع السياسي في البحرين، فتحولت السلطة التنفيذية بما أصدرته من مراسيم بقوانين إلى سلطة تشريعية على غير ما يقتضيه هذا المبدأ.

ولعل قيام السلطة التنفيذية مؤخراً وفي غيبة انعقاد المجلسين بإصدار المرسوم بقانون رقم (7) لسنة 2024 بتعديل المادة (28) من المرسوم بقانون رقم (15) لسنة 2002 بشأن مجلسي الشورى والنواب والمتعلقة بأحكام اسقاط العضوية من مجلس النواب، مثال بارز ومعاصر يثبت مدى تدخل السلطة التنفيذية في وعلى إعمال السلطة التشريعية، يعزز صحة ما ذهبنا إليه وهو وما يدعونا لقراءة ومناقشة هذا المرسوم بقانون والاحكام المترتبة على إصداره، في المحاور التالية:

أولاً: حالات سقوط وبطلان العضوية وحق الجهات الرسمية في طلب إبطال العضوية

نصت المادة (28) من قانون المجلسين محلّ التعديل الذي نص المرسوم بقانون في الأصل على حالات سقوط وبطلان عضوية عضو مجلس النواب فيما يلي:

تسقط العضوية إذا فقد أحد شروط العضوية أو إذا فقد الثقة والاعتبار أو أخلّ بواجبات العضوية.

وتبطل العضوية إذا تبين أن العضو كان فاقداً لشروط العضوية عند الانتخاب.

وحصر الجهة التي تصدر قرار إسقاط أو بطلان العضوية هي مجلس النواب وجوباً بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس، ويكون التصويت في هذه الحالة بالمناداة على الأعضاء بأسمائهم.

غير أن التعديل الذي أجرته السلطة التنفيذية مؤخراً وفي غيبة انعقاد المجلسين بتعديل المادة المذكورة جاء بالاستبدال كما يلي:

(تسقط العضوية عن عضو مجلس النواب إذا فقد الثقة والاعتبار أو إذا أخل بواجبات العضوية، ويجب أن يصدر قرار إسقاط العضوية بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس، ويكون التصويت في هذه الحالة بالمناداة على الأعضاء بأسمائهم.

وتبطل العضوية إذا تبين أن العضو كان فاقداً لشرط من شروطها عند الانتخاب أو أثناء عضويته بالمجلس. وللجهات الرسمية – في أي وقت – أن تطلب من محكمة التمييز الحكم بإبطال العضوية في هذه الحالات. ويترتب على حكم المحكمة بإبطال العضوية إسقاط العضوية عن العضو من تاريخ صدوره، ولا أثر له على ما قام به العضو من أعمال داخل المجلس في الفترة السابقة أو ما حصل عليه من حقوق.)

ولعل أبرز ما يعيب هذا التعديل هو ما نصت عليه هذه الفقرة الثالثة من نص التعديل التي أعطت الجهات الرسمية الحق في أي وقت أن تطلب من محكمة التمييز الحكم بإبطال العضوية إذا تبين أن العضو كان فاقداً لشرط من شروطها عند الانتخاب أو أثناء عضويته بالمجلس. ويترتب على حكم المحكمة بإبطال العضوية إسقاط العضوية عن العضو من تاريخ صدوره، ولا أثر له على ما قام به العضو من أعمال داخل المجلس في الفترة السابقة أو ما حصل عليه من حقوق.

ولكن السؤال المركزي هو: هل جاء التعديل الذي أجراه المشرع العادي على المادة (28) من قانون المجلسين منسجماً ومتفقاً مع حكم المادة (99) من الدستور؟ التي نصت على: (إذا ظهرت حالة من حالات عدم الأهلية لأي عضو من أعضاء مجلسي الشورى والنواب أثناء عضويته تسقط عضويته، ويصبح محله شاغراً بقرار يصدر بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس الذي هو عضو فيه. كما يجوز إسقاط عضوية أحد أعضاء مجلس الشورى أو مجلس النواب إذا فقد الثقة والاعتبار أو أخل بواجبات عضويته. ويجب أن يصدر قرار إسقاط العضوية بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس الذي هو عضو فيه، ويرفع القرار إذا كان صادراً عن مجلس الشورى إلى الملك لإقراره).

يتضح من النص الدستوري أن حالات إسقاط العضوية لأي عضو من أعضاء المجلسين أثناء عضويته تكون في حالات عدم الاهلية، أي الأهلية القانونية العامة التي تعنى صلاحية الفرد أو الكيان القانوني لممارسة الحقوق وتحمل الالتزامات والقيام بالتصرفات القانونية، فإن المشرع الدستوري لم يشأ أن يقصرها على حالة معينة بذاتها وهي تشمل بالضرورة الأهلية الانتخابية أي شروط العضوية التي نص عليها الدستور وقانون المجلسين، والمشرع حين استخدم عدم الاهلية أراد بذلك أن تشمل عوارض الأهلية التي قد تلحق العضو مثل الجنون، أو موانع الأهلية مثل الحكم بعقوبة جنائية أو الغيبة أو الفقد، ويشمل ذلك إذا فقد الثقة والاعتبار أو أخل بواجبات عضويته، وأن الذي يطلب ويقرر سقوط وإسقاط العضوية هو وحده مجلس النواب بقرار منه بأغلبية ثلثي أعضاءه، ولم يقرر المشرع الدستوري لأي جهة أخرى بما فيها الجهات الرسمية حق التقدم بطلب إبطال العضوية.

وتؤكد المذكرة التفسيرية للدستور ما ذهبنا إليه حين فسرت المادة (99) من الدستور سالفة البيان جاء فيها (.... وضمانا لسلامة استخدام هذا الحق، اشترطت المادة أن يصدر قرار إسقاط العضوية بأغلبية ثلثي أعضاء المجلس الذي ينتمي إليه العضو...).

مما تقدم يمكن القول ما يلي:

لما كان من المقرر والمستقرّ في الفقه والقانون الدستوري هو عدم جواز أن يصدر قانون بالمخالفة لإحكام الدستور، وأن على الدولة أن تخضع بجميع سلطاتها لمبدأ سيادة الدستور أصلاً مقرراً وحكماً لازماً لكل نظام ديمقراطي سليم، فإنه يكون لزاماً على كل سلطة عامة أيا كان شأنها وأيا كانت وظيفتها وطبيعة الاختصاصات المسندة إليها، النزول عند قواعد الدستور ومبادئه والتزام حدوده وقيوده، فإن هي خالفتها أو تجاوزتها شاب عملها عيب مخالفة الدستور، فأن تعديل المادة (28) من قانون المجلسين، على نحو يعطى الجهات الرسمية الحق في أي وقت أن تطلب من محكمة التمييز الحكم بإبطال العضوية إذا تبين أن العضو كان فاقداً لشرط من شروطها عند الانتخاب أو أثناء عضويته بالمجلس، تحوم حوله شبهة دستورية واعتدى وتغول وعدل في حكم المادة (99) من الدستور.

في ندوة للأستاذ الباحث القانوني خالد إبراهيم هجرس في مجلس الدوي حول (قواعد إبطال العضوية النيابية وسابقة حكم التمييز) كان يرى أن النص السابق كان مشوشاً ومنتقداً حين جعل الابطال والاسقاط في يد المجلس والمعروف في فقه الإجراءات أن الابطال يكون قضائيا فكيف يمكن لسلطة غير قضائية الحكم بالإبطال، ومن وجه نظره بان التعديل بموجب المرسوم بقانون في هذه الجزئية قد اجاد وهي جزئية يعتقد إنها موفقه لأنه فصل بين ألية الاسقاط والابطال).

ومع اتفاقنا مع ما ذهب إليه الأستاذ خالد في هذه الجزئية، غير أنه لم يلاحظ أن هذا التشوش مصدره واساسة النص الدستوري في المادة (99) وتفسير المذكرة التفسيرية لهذه المادة التي أعطت جميع حالات اسقاط العضوية بما فيها فقد شروط العضوية لمجلس النواب بأغلبية الثلثين، وكان يتعين معالجة المشكلة في النص الدستوري وليس من خلال تعديل نص المادة (28) من قانون المجلسين، كما انه لم يشر في مداخلته إلى أن المشرع العادي حين عدل المادة المذكورة قد تجاوز النص الدستوري حين قرر حق الجهات الرسمية في التقدم بطلب إبطال العضوية، ولا يصح القول هنا أن نص المادة (99) من الدستور لم تنص على حالة الابطال وبالتالي يجوز للمشرع العادي صلاحية تنظيم عمل واختصاصات مجلس النواب، ذلك أن الدستور وان لم يكن قد نص على مفردة بطلان العضوية فانه نص على اسقاطها في حالة فقد شروط العضوية، وشروط العضوية لا تتعلق إلا بالبطلان.

ثانياً: عدم توافر شرط الضرورة في المرسوم بقانون

إن سلطة إصدار القانون في الأصل يتعين أن تكون للبرلمان، وبنص الدستور في المادة (70) لا يصدر قانون إلا إذا أقره كل من مجلسي الشورى والنواب أو المجلس الوطني بحسب الأحوال، وصدق عليه الملك.

غير أن دستور البحرين وضع استثناء على هذا الأصل شانه شأن معظم الدساتير العربية والعالمية نصت عليه المادة (38) من الدستور واجازت لجلالة الملك أن يصدر مراسيم بقوانين في غيبة المجلسين أي فيما بين أدوار انعقاد كل من مجلس الشورى ومجلس النواب أو في فترة حل مجلس النواب وتكون لها قوة القانون سارية المفعول ويجب عرضها على المجلسين في المواعيد المحددة بنص المادة المذكورة ، فإذا لم تعرض زال ما كان لها من قوة القانون، وإذا عرضت ولم يقرها المجلسان زال كذلك ما كان لها من قوة القانون، ويشترط فيها أن تكون هناك ضرورة لإصدارها في غيبة المجلسين، وأن لا تكون مخالفة للدستور.

غير أن الأسئلة التي تثار في هذا الصدد، هل هناك ضرورة أي ما يوجب الإسراع في اتخاذ تدابير لا تحتمل التأخير لإصدار هذا التعديل بأداة المرسوم بقانون كما اشترط الدستور؟ وهل يكون لهذا المرسوم بقانون بتعديل المادة (28) من قانون المجلسين أثر رجعي إذا لم يقره المجلسان فيزال ما كان له من قوة القانون؟

في شرط الضرورة

لم نطلع على مبرر الضرورة أو التدابير الذي لا يحتمل التأخير الذي استندت إليه الحكومة في إصدار التعديل باستبدال المادة (28) من قانون مجلسي الشورى والنواب بأداة المرسوم بقانون، وعليها تقديم هذا المبرر في مذكرته الإيضاحية حين يعرض على المجلسين، ومع ذلك فأنه يمكن نشير إل ما يلي:

أن المشرع الدستوري البحريني لم يحدد نوعية الظروف وشروطها التي تستوجب اتخاذ تدابير لا تحتمل التأخير في المادة (38) من الدستور، شانه شأن بعض الدساتير في البلاد العربية، فأنه يتعين الرجوع إلى القواعد العامة في نظرية الضرورة والتي تشترط في هذه الظروف التي تؤدي إلى استخدام أداة مراسيم الضرورة:

ان يكون هناك خطر جسيم

وان يكون هذا الخطر حالا.

وان يتعذر دفعه بالطرق العادية

فلا يجوز لرأس الدولة ان يلجا إلى اصدار لوائح الضرورة في حالة عدم وجود خطر جسيم وحال يهدد كيان الدولة أوفي حالة قدرة البرلمان على مواجهة هذه الظروف، أو في حالة عدم عجز القوانين القائمة عن مواجهتها.

ب–المقرر في القانون والفقه الدستوريين أن الضرورة هي حالة استثنائية فانه لا يجوز التوسع فيها على حساب الأصل في ان تكون سلطة التشريع بيد البرلمان، وإذا كان المقرر أن تقدير الضرورة متروك لرأس الدولة فأن هذا التقدير يخضع لرقابة البرلمان كما يخضع لرقابة المحكمة الدستورية.

قد يكون تبرير الضرورة أو التدابير الذي لا يحتمل التأخير الذي ستستند عليه السلطة التنفيذية في صدور المرسوم بقانون محل موضوعنا، هو اكتشافها خلال إجازة المجلسين بعد فض دور الانعقاد الثاني من الفصل التشريعي السادس وجود أعضاء من مجلس النواب لا تتوافر فيهم شروط العضوية عند انتخابهم، فأن هذا التبرير أن ركنت عليه مردود عليه بما يلي:

إن اكتشاف أو علم السلطة التنفيذية بعد انتهاء الدور الأول والثاني من أدوار انعقاد مجلس النواب بوجود بعض أعضاء مجلس النواب فقدوا شروط العضوية عند الانتخاب، لا يجوز الاستناد إليه كتدابير لا يحتمل التأخير يجعلها أن تشرع مرسوما بقانون يعطي الجهات الرسمية الحق في طلب إبطال عضوية عضو مجلس النواب، ذلك لأنه فضلا عن عدم دستوريته كما اسلفنا، فان هذا السلطة بما تملكه من بيانات ومعلومات – وهي وتملكها– عن الناخبين والمرشحين عند إجراء العملية الانتخابية وكان عليها أن تعلم – وهي تعلم– إن كان المرشح لمجلس النواب تتوافر فيه شروط الترشح من عدمه عند الترشح وذلك من خلال اللجنة العليا للأشراف العام على سلامة انتخاب أعضاء مجلس النواب في جميع الأمور التي تعرضها عليها لجان الاشراف على سلامة الانتخاب ويعاون هذه اللجنة العليا الجهاز المركزي للإحصاء الذي يتولى القيام بأعمال التحضير والإعداد للاستفتاء والانتخاب والترشيح والإشراف على جميع الأعمال التقنية اللازمة لذلك، أو من خلال لجنة الإشراف على سلامة الانتخاب في كل منطقة انتخابية التي من ابرز مهامها تلقى طلبات الترشيح وفحصها حسب نص المادة (7) من قانون مباشرة الحقوق السياسية.

فاذا كان الامر كذلك فأن التدابير الذي لا يحتمل التأخير أي شرط الضرورة الذي جعل من السلطة التشريعية لإصدار المرسوم بقانون محل موضوعنا لا يتوافر فيه الخطر الحال الذي يكون على وشك الوقوع يتطلب من السلطة التنفيذية توقيه بإصدار مرسوم بقانون في غيبة المجلسين، فهو قد وقع أو يقع عند تقديم المرشح أوراق ترشحه وفحصها من قبل الجهات أو اللجان المشكلة على سلامة الانتخاب، وعلى وجه الخصوص فحص الشروط التي اوجبها المشرع في المرشح لمجلس النواب فان كان متجنساً مثلا فانه يتعين على لجان سلامة الانتخاب معرفة المدة المشروطة بعشرة سنوات من تجنسه، وما إذا كان يحمل جنسية أخرى من عدمه.

والبناء على ما تقدم فأن إصدار السلطة التنفيذية المرسوم بقانون محل هذا البحث يكون خالف ما اشترطته المادة (38) من الدستور بضرورة وجود الضرورة أو التدابير الذي لا يحتمل التأخير، ويكون مطعون فيه لهذا السبب بعدم دستوريته.

في عدم رجعية المراسيم بقوانين

يقصد بمبدأ عدم رجعية القانون عدم سريان إحكامه على الماضي، أي أن أحكامه لا تسري إلا على ما يقع من تاريخ العمل به ولا تنعطف آثاره على ما يقع قبله، غير انه يجوز استثناء من هذا الأصل سريانها بأثر رجعي إذا نص القانون على ذلك وفي المواد الجنائية إذا كان القانون أصلح للمتهم.

فكيف هو الحال في المراسيم بقوانين هل يسري أثرها على الماضي؟

كما تعلمون وحسب نص المادة (38) من الدستور أن المراسيم بقوانين تكون لها قوة القانون أي سريانها على الكافة منذ صدورها وقبل عرضها على المجلسين، فاذا لم تعرض عليهما وإذا عرضتها ولم يوافقا عليها زال ما كان لها من قوة، لكن في كلتا الحالتين هل يكون لهذا الزوال من أثر رجعي.

ولنضرب لذلك مثال في الحكم الصادر ببطلان واسقاط عضوية النائب السابق محمد الحسيني إذا تم ذلك طبقا لأحكام المرسوم بقانون محل موضوع هذه الندوة رغم ان هذا المرسوم بقانون لم يعرض على المجلسين ولان له قوة القانون منذ إصداره تم تطبيقه على الحسيني، ولكن لنفترض أن المجلسين رفضا إقراره فيزول ماله من قوة قانونية فهل تزول اثاره التي صدرت في الماضي بمعنى هل يستطيع محمد الحسيني أن يعود نائبا في مجلس النواب؟

لا تجيب المادة (38) من دستور 2002 على هذا السؤال بل تجيب عليه المذكرة التفسيرية في تفسيرها لهذه المادة فتقول (.... ولما كانت القاعدة المقررة أن هذه المراسيم تعتبر نافذة ومرتبة آثارها من تاريخ صدورها إلى حين عرضها على المجلسين، فإنه قد يترتب عليها نشأة مراكز قانونية وحقوق مكتسبة للأفراد خلال تلك الفترة، وحماية لهذه الحقوق والمراكز في حالة عدم موافقة المجلسين على هذه المراسيم، عدلت المادة (38) لتقرر زوال هذه الآثار من تاريخ صدور قرار برفضها من كل من المجلسين أو المجلس الوطني بحسب الأحوال، أو من التاريخ الذي كان يجب عرضها فيه على المجلسين في حالة عدم عرضها. والزوال هنا ليس له أثر رجعي، وهو ما يتفق مع كون أن هذه المراسيم تستمد قوتها من المادة (38) ذاتها، وبالتالي يكون زوالها من تاريخ رفضها ....).

وهذا يعني حسب تفسير المذكرة التفسيرية أن زوال القوة القانونية للمراسيم بقوانين إذا رفضها المجلسان ليس له أثر رجعي فلا يجوز للحسيني العودة إلى المجلس.

ومع قناعتنا الدستورية التامة أن المذكرة التفسيرية للدستور ملزمة، وما ورد فيها من تفسير تعد احكاما مكملة للأحكام الواردة في الوثيقة الدستورية، غير أن لنا الملاحظات التالية:

الملاحظة الأولى:

كما هو واضح من ديباجة المذكرة التفسيرية لدستور 2002 أن المشرع الدستوري في إصداره لدستور 2002، قد اعتمد على مبادئ ميثاق العمل الوطني ،وعلى انه تعديل على مواد دستور 1973، ومن بين هذه المواد هو تعديل المادة (38) من دستور 1973، والتي تحمل ذات الترقيم في دستور 2002، غير أن هذا التعديل على هذه المادة يكشف كما في غيرها من المواد، أن مشرع دستور 2002، قد تجاوز وعدل من مواد دستور 1973 دون أن يكون لها سند أو دليل في مبادئ ميثاق العمل الوطني يبح له التعديل، وذلك حين ألغى من نص دستور 1973 بأن لا تكون المراسيم بقوانين مخالفة للتقديرات المالية الواردة في قانون الميزانية، كما ألغى (بزولها بأثر رجعي ما كان لها من قوة القانون، ما لم يرَ المجلس اعتماد نفاذها في الفترة السابقة).

الملاحظة الثانية:

تبرر المذكرة التفسيرية تعديل المادة (38) من الدستور زوال هذه القوة القانونية ليس له من أثر رجعي، (بإنه قد يترتب عليها نشأة مراكز قانونية وحقوق مكتسبة للأفراد خلال تلك الفترة، وحماية لهذه الحقوق والمراكز في حالة عدم موافقة المجلسين على هذه المراسيم). والحقيقة أن معظم المراسيم بقوانين التي أصدرتها السلطة التنفيذية طوال الفصول التشريعية للحياة النيابية فيها ليس فيها حماية لحقوق مكتسبة أو مراكز قانونية للأفراد بل فيها انتقاص من هذه الحقوق والمراكز، فتعديلات التقاعد جاءت بمرسوم بقانون وانتقصت من أبرز الحقوق المكتسبة الزيادة السنوية 3٪، وفرض الضريبة المضافة الغير مباشرة قننت بموجب مرسوم بقانون، وخصصت الإجراءات التنفيذية بتحويلها إلى القطاع الخاص تمت بموجب مرسوم بقانون، وتقييد السؤال البرلماني والمناقشة العامة ومعظم التعديلات التي جرت على اللائحة الداخلية لمجلس النواب جاءت كذلك بموجب مراسيم بقوانين. فاين هي الحماية للحقوق المكتسبة للأفراد التي تتحدث عنها المذكرة التفسيرية في المراسيم بقوانين؟

ثالثاً: المرسوم بقانون والتجنيس

إذا كان قرار معالي وزير الداخلية بتشكيل لجنة مراجعة لكل من حصل على الجنسية البحرينية بعد 2010، هي خطوة هامة ثمنها المنبر التقدمي مع الجمعيات السياسية القائمة، وأصبحت حديث المجالس الاهلية والفعاليات الشعبية التي أيدتها ، فان المرسوم بقانون محل هذه الندوة وما ترتب عليه من حكم محكمة التمييز كشف بوضوح أكثر ودليل أوضح عنما سبق وأن حذرت منه الفعاليات السياسية والأهلية منذ بداية المشروع الاصلاحي ليس فقط من عيوب ونواقص التشريع المتعلقة بالجنسية وبالتجنيس، بل حذرت من الاثار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومن الهدف من سياسية التجنيس دون النظر إلى العواقب الوخيمة الناتجة والتي ستنتج عن هذه السياسة، فلا يحتاج شعب البحرين بكل طوائفه الذي يعاني من سياسية التجنيس للبحث والتحقيق في مدى قانونية التجنيس فقط بل يحتاج كذلك إلى تحقيق شفاف لملف التجنيس من حيث عدد من تم تجنسيهم مع بيان موطنهم الأصلي والمنافع التي حصلوا عليها تاريخ حصولهم على الجنسية، وكيفية توزيعهم على مناطق البحرين وعلى الدوائر الانتخابية وبيان مدى تأثير ذلك على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والمعيشي للمواطن البحريني وعلى العملية الانتخابية، وأحسب ان شعب البحرين يحتاج فوق ذلك إلى وقف فوري لعمليات التجنيس.

واذا كانت التعديلات التي جرت على الدستور في عام 2012 قد عدلت المادة (57) البند (أ) واشترطت (بان يمضي على من اكتسب الجنسية البحرينية عشر سنوات على الأقل، وغير حامل لجنسية دولة أخرى)، وهو الشرط الذي ركنت إليه الجهة الرسمية أمام محكمة التمييز لبطلان واسقاط عضوية الحسيني فان قانون الجنسية، حين وضع في المادة (6) الشروط التي اشترطها لمنح الجنسية البحرينية للأجنبي، لم يضع ضمن الشروط ولا في الاستثناء الوارد عليها ابتداء لمنح هذه الجنسية التخلي عن جنسيته الاصلية بحيث لا يتم منحها له الا اذا قدم ما يدل على هذا التخلي، وهو ما يفسر تفاخر وتباهي من حصل على الجنسية بالتجنس عبر وسائل التواصل الاجتماعي بانه يحمل جنسيته الاصلية والجنسية البحرينية في آن وبطريقة تنال من شرف الجنسية البحرينية.

مفهوم الدعوة للإصلاح

قاسم الحلال

لماذا لم تحاسب الفئة الضالة الأنانية من المفسدين ويُقدموا إلى المحاكمة؟

أي دعوة للإصلاح تتمثل في وضع تصور جاد لكيفية الشروع في تنفيذها، وبهذا الصدد نحتاج إلى عصرنة نرتفع فيها نحو قيم ومفاهيم استراتيجية تدلنا على طريق الإصلاح.

من يسعى للتطور والتقدم ولحياة حرة كريمة عليه رسم خارطة مبرمجة لوضع كسيح متخلف في حاجة إلى وعي وتنوير لإخراجه من هذا الكساح المؤلم. المشروع الإصلاحي لجلالة الملك وللميثاق الوطني الذي بصم عليه الشعب، للأسف تلاعب فيه المفسدون وحرفوا أسسه وبنوده لتكون أداة طيّعة لخدمة مصالحهم الأنانية.

إن الدعوات الصادقة تعني نقد المفاهيم الخاطئة أولاً لمسيرة نهج متأزم للإصلاح قبل كل شيء، أي النضال في سبيل وضع منهجية مبرمجة تقوم على إصلاح الإعوجاج قبل الشروع في الدعوة ذاتها، فقد تكون الدعوة حمالة أوجه بحجة الإصلاح. وخطط الإصلاح موجودة على الواقع تنتظر تفعيلها وبصورة ناجحة، ومن بينها الدور الرقابي، فإين هذا الدور، هل تحالف مع مفسدي الإصلاح؟ ام تقاعس وخبا دوره؟ أم أن لدور التسييس والطأفنة نصيب الأسد؟، فبقاء الفاسدين في مناصبهم ناتج من عدم تدوير المناصب، مما يعزز تعشعش وتوريث الفساد، حيث يبدأ هذا الفساد من قمة الإدارة كونها هي من يحل ويربط وهي الآمر والناهي.

لحلّ المشاكل نحتاج إلى منهجية في التغيير نحو الأفضلية ومحاسبة القصور والمقصرين، علينا أن نبحث عن مصدره ومكانته وحجم نفوذه. فمن الواضح لنا قبح الفساد، وبان لنا المفسدون بشخصياتهم وأشكالهم، فلا مجال للتنكر.

ونطقت الألسن بلا حياء ولا تأنيب ضمير، حيث تعرى كل مستور بعد أن عجزوا عن التبرير وأطلاق الحيل والأكاذيب بعد أن تمرغ وجه عمالقة الفساد في عقد التحالف علينا نحن الفقراء، تحالفوا ضدنا كبارهم وصغارهم، تجمعهم المصالح، كشروا بأنيابهم دون خوف بعد أن أعطوا الضوء الأخضر لنهبنا علانية. لكن اليوم بدأت تنهار خططهم، وبدأوا دفن رؤوسهم في الرمل مثل طير النعام وحينما يرفعونها يتباهون وكأنهم انتصروا.

إن مسألة الإصلاح يجب أن تتبناها جهات مسؤولة، حيث طرح عملي واضح ينقلنا بخطوات تتخذ فيها آليات حسب المرحلة، حيث تضع مراحل الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أخرى، وذلك لكي يحقق مكاسب إيجابية ونتفادى السلبيات التي كانت من أهم العراقيل.

هناك الكثير من التصريحات عن الإنجازات لكن لا نرى لا طحناً ولا طحين، مع استشراء الفساد المستمر منذ سنين مسيئاً للوطن وللمجتمع.

لماذا لم تحاسب الفئة الضالة الأنانية من المفسدين ويُقدموا إلى المحاكمة؟ نكرر ونؤكد على ضرورة التدوير في المناصب الرفيعة تحاشياً للفساد المستشري في المناصب من حين إلى حين ومحاربة الشللية في المؤسسات، من المعيب أن نرى مسؤولاً يبقى سنيناً في منصبه يأمر وينهي لا رقيب يراقبه ولا حسيب يحاسبه، ويترتب على ذلك الكثير من السلبيات من محسوبية ورشوة دون رادع، ولا نقول ذلك من باب المبالغة أو التصيّد، فنحن ننتقد لنضع النقاط على الحروف، حباً في بناء وطن متحضر نحو آمال سعيدة.

التوسع الاستيطاني الإسرائيلي
مثير للقلق ويتعارض مع القانون الدولي

أعرب مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان في الأرض الفلسطينية المحتلة عن القلق إزاء التوسع الاستيطاني الإسرائيلي الأخير والمستمر والتغييرات القانونية في الضفة الغربية المحتلة، منبها إلى أن هذه إجراءات تتعارض مع القانون الدولي، بما في ذلك الحكم الذي أصدرته محكمة العدل الدولية في تموز/يوليو.

وأشار المكتب إلى إعلان وزير المالية الإسرائيلي بتسلئيل سموتريتش في 14 آب/أغسطس عن أمر عسكري بتخصيص 148 فدانا من الأراضي للمستوطنة الجديدة "ناحال هيليتز"، المقرر بناؤها غرب بيت لحم، والذي يتعدى على موقع بتير الفلسطيني المدرج على قائمة اليونسكو للتراث العالمي.

وأضاف مكتب حقوق الإنسان أن هذا الأمر جاء في أعقاب قرار مجلس الوزراء الإسرائيلي في 27 حزيران/يونيو بإنشاء خمس مستوطنات جديدة، بما في ذلك "ناحال هيليتز"، باستخدام القانون الإسرائيلي "لإضفاء الشرعية" على البؤر الاستيطانية التي كانت موجودة بالفعل في هذه المواقع، والتي تظل جميعها غير قانونية بموجب القانون الدولي.

وقال المكتب إن المستوطنات وعنف المستوطنين ووجود المستوطنين هي الأسباب الجذرية لغالبية انتهاكات حقوق الإنسان في الضفة الغربية، بما في ذلك القدس.

وذكّر المكتب بالرأي الاستشاري لمحكمة العدل الدولية الصادر في 19 تموز/يوليو والذي رأت فيه أن دولة إسرائيل ملزمة بالوقف الفوري لجميع أنشطة الاستيطان الجديدة وإخلاء جميع المستوطنين من الأرض الفلسطينية المحتلة.

(قف)

الديمقراطية الأمريكية!

عند ذكر «الديمقراطية الأمريكية»، دائمًا يتحدث العم سام مؤمنًا إيمانًا راسخًا بأنها تصبح «القيمة العالمية» لجميع بلدان العالم. هل هذا صحيح؟

هذا السؤال يطرحه منتدى التعاون الصيني العربي، والجواب: لا طبعًا! فإن "الديمقراطية الأمريكية " ليست دواءً سحريًا ينقذ عامة الناس. بل إن هذه "الديمقراطية الأمريكية " تتميز بصفة الهلوسة مثل الخشخاش. يبدو أن "الديمقراطية الأمريكية" ستمكن بلداً أن ينتقل من فقير إلى غني ومن ضعيف إلى قوي طالما تم ملء الصناديق بأوراق الاقتراع.

فهد المضحكي

وذات مرة طرحت الولايات المتحدة بفخر ما يسمى بخطة "التحول الديمقراطي للشرق الأوسط"، مدعية أنها ستزرع بذور "ثورة الياسمين" في كل شبر من أرض الشرق الأوسط. ولكن بعد 13 سنة، أجريت انتخابات على غرار "الديمقراطية الأمريكية" مرارًا وتكرارًا في الشرق الأوسط، لكن لم تتحقق "المساواة والحياة الكريمة" التي تتطلع إليها شعوب المنطقة. وعلى العكس من ذلك، اشتدت الانقسامات والاستقطاب بين مختلف الأحزاب والطبقات والفئات العرقية، وأصبحت "الديمقراطية" مجرد سراب في النهاية.

إن "الديمقراطية الأمريكية" هي ديمقراطية لعدد قليل من الناس بدلًا من الأغلبية، وهي ديمقراطية لمجموعة المصالح الخاصة وطبقة الامتيازات بدلًا من ديمقراطية لعامة الناس، وهي ديمقراطية لعدد قليل من البلدان التي تطورت مبكرًا نسبيًا لأسباب تاريخية وليست ديمقراطية للبشرية جمعاء، فهذا النوع من الديمقراطية غير متوازن للغاية، وهو ليس نموذجًا عالميًا. أفغانستان، التي حوّلتها الولايات المتحدة بشكل ديمقراطي "لم تحقق التنمية والازدهار والتقدم لأكثر من 20 عامًا مضت ولم تترك الولايات المتحدة وراءها سوى عظام المتوفين والأحياء الفقيرة والخشخاش التي تزرع بمساحة واسعة جدًا، شأنه شأن سوريا وليبيا واليمن التي انجرت إلى مستنقع الحرب بسبب خطة "التحول الديمقراطي للشرق الأوسط" التي نفذتها الولايات المتحدة، كافح بعضها بشدة في ظل البلطجة الأمريكية وفقدوا أكثر من إحدى عشرة سنة من فرص التنمية، انقسم بعضها بسبب "الديمقراطية الأمريكية" المفروضة عليه، وعاش بعضها حروبًا أهلية ومن الصعب تحقيق التنمية.

تتميز "الديمقراطية الأمريكية" بصفة تؤدي إلى الموت مثل الخشخاش. كل مرة تشن فيها الولايات المتحدة حربًا في الخارج، دائمًا تكون تحت راية "الديمقراطية" و"حقوق الإنسان". ولكن كما قال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، إن الديمقراطية الأمريكية تُبنى من خلال الغارات والاغتيالات وحركات الشوارع، والتي غالبًا ما تحول بلد ما إلى "ثقب أسود". تحوّل حفل زفاف على الفور إلى جنازة بسبب طائرة أمريكية بدون طيار. أدت حرب أفغانستان إلى مصرع أكثر من 240 ألف شخص في ظل "الديمقراطية الأمريكية". وفي حرب العراق، لقي أكثر من 100 ألف مدني مصرعهم في "الديمقراطية الأمريكية". وفي الحرب الأهلية السورية، قتل ما لا يقل عن 350 ألف شخص، وأصبح أكثر من 4 ملايين شخص لاجئين، ونزوح أكثر من 7 ملايين شخص. وبالنظر إلى داخل الولايات المتحدة، سنجد "حياة السود لا تهم!" وهؤلاء الشباب الذين قتلوا بسبب ما يسمى بحرية امتلاك السلاح. كم مدى رخص أرواح الأبرياء بالنسبة إلى "الديمقراطية الأمريكية"! كم حجم الثمن الباهظ لتحقيق "الديمقراطية الأمريكية «!

سينقلب السحر على الساحر مع مرور الوقت. بدأ المزيد من الدول والشعوب وحتى حلفاء الولايات المتحدة التشكيك في جدارة "الديمقراطية الأمريكية". أظهر استطلاع الرأي الذي أجراه صندوق الرابطة الدنماركية للديمقراطية في مايو 2021 أنه من بين أكثر من 50000 مشارك في 53 دولة ومنطقة، كان نصفهم تقريبًا قلقين من أن الولايات المتحدة ستهدد ديمقراطية بلادهم. كما أظهر استطلاع الرأي الذي أجراه مركز بيو للأبحاث أن الناس في 16 دولة متقدمة إنخفضت ثقتهم بـ "الديمقراطية الأمريكية"، وأعتقد 57٪ من المشاركين أن الولايات المتحدة لم تعد نموذجًا للديمقراطية. حتى صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية نَشرت مقالًا بعنوان "نهاية الديمقراطية الأمريكية"، أعربت فيه عن أسفها لأن "زوال الديمقراطية يحدث في أمريكا «.

ومع ذلك، بدلًا من مراجعة الذات، كثفت الولايات المتحدة جهودها لإثارة الانقسامات في العالم من خلال ما يسمى بـ "قمة الديمقراطية" والتحريض على المجابهة بين المعسكرات حسب استراتيجيتها الخاصة. وعلى وجه الخصوص، تصنيف الولايات المتحدة الدول الأخرى إلى مختلف الدرجات وفقًا لمعيارها للديمقراطية، وتطلب من تلك الدول ملء "أوراق الاختبار" الديمقراطية الصادرة عن الولايات المتحدة. هذا التصرف غير ديمقراطي، ويتعارض مع تيار العصر، ويخالف إرادة أغلبية أعضاء المجتمع الدولي.

كشف استطلاع رأي جديد في الولايات المتحدة عن زيادة القلق بفارق تسع نقاط منذ يناير، على أن الديمقراطيين والجمهوريين متحدون في مخاوفهم، مما سيؤدي لإنهيار الديمقراطية الأمريكية.

وبحسب استطلاع جامعة كوينيبياك، فإن حوالي 67٪ من جميع الذين شملهم الاستطلاع يعتقدون أن الديمقراطية في خطر، وشمل هذا المجموع 72٪ من الناخبين الديمقراطيين المسجلين و70٪ من الجمهوريين. وتمّ نشر نتائج الاستطلاع قبل خطاب جو بايدن، بشأن ما يصفه البيت الأبيض بأنه "معركة من أجل روح الأمة"، حيث من المتوقع أن يهاجم دونالد ترامب وحلفاءه لتقويضهم ديمقراطية الأمة. واتهم ترامب بايدن بتسييس مكتب التحقيقات الفيدرالي، في محاولة لطرده من انتخابات 2024 قبل أن تبدأ، والنتيجة هي من اليسار واليمين تصوير أعدائهم على أنهم تهديد الديمقراطية.

ووفقًا للاستطلاع الذي شمل 1584 شخصًا، فإن نسبة الأمريكيين الذين يخشون الديمقراطية ارتفعت تسع نقاط منذ يناير. ويأتي في أعقاب استطلاع أجرته شبكة «NBC News" مؤخرًا، كشف أن التهديدات للديمقراطية كانت أهم قضية تواجه البلاد. وصنف حوالي 21٪ من المستطلعين التهديدات للديمقراطية على أنها القضية الأكثر أهمية، مقابل 16٪ قالوا تكلفة المعيشة و14٪ وضعوا الوظائف والاقتصاد على رأس قائمة الفواتير، بحسب صحيفة الديلي ميل البريطانية.

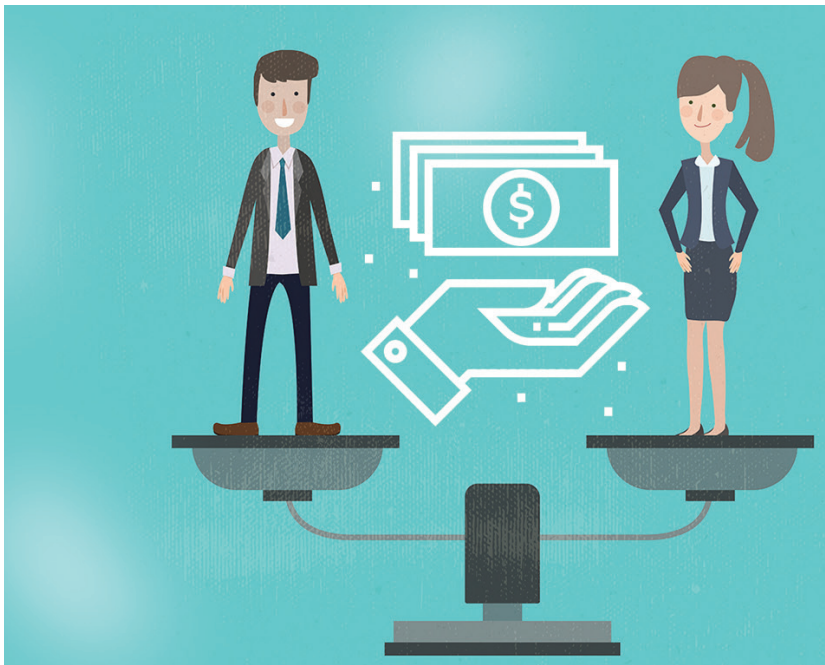

١٨ سبتمبر اليوم الدولي للمساواة في الأجور

المساواة بين الجنسين في العمل حق أساسي من حقوق الإنسان وأمر بالغ الأهمية لتعزيز الحماية والرفاهية لجميع أفراد المجتمع. نصَّ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في مادته رقم (٢٣) على: أنه «لكل شخص حق العمل، وحرية اختيار عمله، في ظل شروط عمل عادلة ومُرضية، وله الحق أيضاً في الحماية من البطالة، ولجميع الأفراد – دون أي تمييز – الحق في أجرٍ متساوٍ على العمل المُتساوي».

دينا الأمير

لا تزال قائمة ظواهر التمييز بين الجنسين والتفاوت في الدخل بين الرجل والمرأة

تحيي الأمم المتحدة اليوم الدولي للمساواة في الأجر في 18 سبتمبر من كل عام، بهدف إبراز الجهود طويلة الأمد نحو تحقيق المساواة في الأجر عن العمل متساوي القيمة، وتسليط الضوء على الفجوة بين أجور الرجال والنساء في مختلف القطاعات والمهن وحق النساء في الحصول على فرص التوظيف والترقية والتدريب، وتعزيز التزامات الدول والمنظمات والشركات والأفراد باتخاذ إجراءات فعالة للقضاء التمييز.

بعد دخول النساء في قوّة العمل بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وعدم مساواة أجورهن بأجور الرجال، أطلقت «اتفاقية رقم 100» والتي عُرفت باسم «اتفاقية المساواة في الأجور لعام 1951». تُعدّ هذه الاتفاقية أول صك دولي يُقر مبدأ «مساواة العمال والعاملات في الأجر عند تساوي قيمة العمل»، واعتمدت في المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية في 29 يونيو 1951، ودخلت حيز التنفيذ في 23 مايو 1953. وفي مصطلح هذه الاتفاقية في المادة (1–ب) تشير عبارة: (مساواة العمال والعاملات في الأجر لدى تساوي قيمة العمل) إلى معدلات الأجور المحددة دون تمييز بسبب إختلاف النوع.

كما عرّفت «منظمة العمل الدولية» أن مفهوم «المساواة في الأجر مقابل العمل ذي القيمة المتساوية» يؤكد على حق النساء والرجال في الحصول على أجر متساوٍ عن العمل المتساوي القيمة، ويضمن المساواة في أجر الوظائف المتطابقة أو المتماثلة، والمساواة في أجر الوظائف المختلفة، ولكنها متساوية في القيمة.

وفي عام 2017 تأسس «التحالف الدولي للمساواة في الأجور» بتعاون من منظمة العمل الدولية وهيئة الأمم المتحدة للمرأة ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية. يهدف التحالف الدولي تحقيق المساواة في الأجور بين النساء والرجال في كل مكان، من خلال الجمع بين مجموعة متنوعة من الجهات الفاعلة ذات مجالات وخبرات مختلفة لاتخاذ خطوات ملموسة لتسريع سد فجوة الأجور بين الجنسين وتحقيق المساواة في الأجور في جميع البلدان والقطاعات الاقتصادية.

وعلى الرغم من التقدم المحرز في النهوض بواقع المرأة ومشاركتها في سوق العمل، وتصدى قوانين أغلب البلدان للتمييز في الأجور وفرض المساواة في الأجر عن الوظيفة المماثلة، لا تزال المرأة تتقاضى أجراً أقل من الرجل عن العمل ذاته، وفي أغلب الأحيان يتم حصر النساء في الوظائف متدنية الأجر أو التي تتطلب مهارات أقل. كما تقضي المرأة حوالي ثلاثة أضعاف عدد الساعات التي يقضيها الرجل في أعمال الرعاية والعمل المنزلي غير مدفوعة الأجر.

وفق تقديرات أممية لعام 2023، تقدر فجوة الأجور بين الجنسين بنسبة تقترب من 20٪ لصالح الرجال على مستوى العالم. كما تعاني النساء من البطالة أكثر من الرجال في جميع أنحاء العالم. وتشير أيضاً إلى أن الفقر وعدم المساواة والحرمان في الوصول إلى الموارد والفرص التي تحد من قدرات النساء أدى إلى بطء تقليل الفجوة بين الجنسين.

إن خطة أهداف التنمية المستدامة 2030 تتناول العمل اللائق والنمو الاقتصادي والمساواة بين الجنسين وتمكين النساء. حيث يركز الهدف الخامس على المساواة بين الجنسين والقضاء على كافة أشكال التمييز ضد النساء. أما الهدف الثامن فإنه يعزز النمو الاقتصادي الشامل والمستدام وتوفير فرص العمل اللائق للجميع وإتاحة الفرص للجميع للحصول على عمل منتج يدر دخلاً عادلاً ويحقق الأمن في مكان العمل. والهدف العاشر يدعو للحد من أوجه عدم المساواة التي تُمثل تهديداً للاستقرار الاجتماعي والسياسي.

إن التمييز وعدم المساواة بين الجنسين والتفاوت في الدخل بين الرجل والمرأة وبطالة النساء مازال قائماً، ويلقي بتداعياته السلبية على التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولتعزيز المساواة والقضاء على التمييز في العمل ولخلق عالم تسوده العدالة والرفاه واحترام حقوق المرأة يتطلب تظافر جميع الجهود المجتمعية وخاصة الحكومية، بوضع قوانين صارمة وفرض عقوبات على المخالفين وتمكين النساء اقتصادياً.

هذه الظاهرة تجد لها تجليات في المجتمعات المختلفة، بما فيها في مجتمعنا البحريني، فبين الأوجه الكثيرة من التمييز التي تنال المرأة، تبرز عدم المساواة في الأجور، وهي وإن لم تكن قاعدة عامة، لكنها موجودة في حالات ومؤسسات كثيرة، وهي قضية بحاجة لأن تكون محط اهتمام ومتابعة من مؤسسات المجتمع المدني، خاصة منها تلك المهتمة بحقوق المرأة، في اتجاه أن تكون المساواة في الأجور قاعدة ينصّ عليها القانون، ويضمنها.

ومَن هي المرأة الشيطانة؟

في حديثٍ دار بين مجموعة من الصديقات طرحن فيه سؤال «كيف يراهن الآخرون، الزوج، العائلة، الأبناء، الأخوة، زملاء العمل والمهنة؟، هل يُصنفن كنساء طيّبات مستكينات أم شيطانات؟

قالت إحداهن: أنا أُعدّ نفسي إحدى شيطانات العائلة، إذ لا احد يجرؤ أن يدوس لي على طرف. قالت الثانية: أنا هادئة في أشياء وشرسة في أشياء أخرى، فثمّة أمور لا اتنازل عنها على الاطلاق. وأجابت الثالثة: دعنا نُعرّف الشيطنة أولاً. صحيح، من هي المرأة الشيطانة؟ ففي المجتمعات الذكورية ذات الطابع الاستبدادي والخاضع لمبدأ اللامساواة واللاتكافؤ بين الجنسين وبين الأقوياء والضعفاء جرى تصميم وصياغة القوانين لصالح الرجل، ووجدت المرأة نفسها في خانة الرضوخ والاستسلام، وقبول الأمر الواقع كي تسلم بنفسها ويقبلها المجتمع ويتعاطى معها وفق المناخ والأعراف والقوانين المعتادة السائدة، لم تفلت من هذه المعادلة إلا قليلات استطعن بميولهن الفطرية وشجاعتهن النادرة التحليق خارج هذا الإطار.

ولكن تلك حالات نادرة لم تكن لتشكل ظاهرة ولا يُعوّل عليها، بل إن «شطانتهن» كانت أمراً مستهجناً وباعثا على النفور، والغريب أن نفس التصرف إذا صدر عن رجل يراه الجميع تصرفاً رجولياً معتاداً، لكن حين يصدر عن امرأة توصف بأنها شيطانة، بيد أن التمكين الذي جرى للنساء في العقود والسنوات الاخيرة غيّر الاحوال، صارت «الشطانة» أمراً مألوفاً ومقبولاً، فالقوانين التي تساوي بين الطرفين في أغلب مجالات الحياة، والتعليم والمعارف والمهارات التي اكتسبتها النساء في الفضاءات المختلفة أصبح فيه من الصعب التحكم في المرأة واخضاعها والتلاعب بمصيرها وسلبها حقوقها وتجاوز رأيها وإراداتها.

عصمت الموسوي

صارت المرأة المستكينة التي تلجأ إلى الحيل والمكائد الخفية شيئاً من الماضي، إذ تتجلى شراسة النساء بوضوح وبشكل سافر في الدفاع عن مبادئهن وأُسرهن وازواجهن وابداعهن والمناصب المهنيّة التي بلغنها والمؤسسات التي أنشأئها أو شاركن في تأسيسها، والثروات التي حققنها بجهدهن وعرقهن. ولا ننسى أن «الشطانة» تولد وتتخلق وتبرز مع التحديات وسبر الصعاب والمجاهيل والمغامرة، وذلك ما أنتهجته النساء حين خرجن للعمل وخضن غمار التنافس فبرزت قوتهن في مجالات مهنية كانت مقتصرة على الرجال فحسب، الشيطانة هي التي تعرف الأرض التي تقف عليها وترصد مواضع قوّتها وتجتهد لتلافي نقاط ضعفها، هي التي تقرأ العقود والمواثيق التي تكون طرفاً فيها فتضع شروطها وحقوقها.

اكثر النساء لا يقرأن ما تتضمنه وثيقة الزواج على سبيل المثال لا بعد الطلاق، أو وفاة الزوج فيجدن أنفسهن وقد خرجن من مولد الشراكة الأسرية خاليات الوفاض بلا إرث مادي أو عيني.

للكاتبة الامريكية كلاريسا بنكولا رأياً تقول فيه ضمن كتابها «نساء يركضن مع الذئاب»: إن المراة كانت ومنذ أزمان سحيقة مخلوقاً قويّاً وفاعلاً ومؤثراً في مسيرة البشرية، وقد عملت جنباً إلى جنب مع الرجل، ولا يقلّ تأثيرها وسطوتها عن أي كائن على الأرض. إنها، حسب الكاتبة، نئبة شرسة جرى تدجينها وترويضها وتسكينها في قفص الخوف والخنوع، فطمست قواها كي تلائم متطلبات الزمن الذكوري وقيمه وقوانينه. إن المرأة المهضومة الحقوق المنتقصة الأداور في زمننا هذا هي المُغفلة «الغشيمة» – بوعي أو بدون وعي – التي تستيقظ وقد استغفلها زوجها أو أبيها أو أبناؤها أو زميلها في العمل أو شريكها في التجارة فسرق حقّها وإرثها وجهودها وأحياناً البيت الذي شيّدته مناصفة مع شريكها فذهب إلى غيرها. إن أغلب قضايا محاكم الشرع في بلدنا اليوم تدور حول هذه القضية.

إن المرأة الحرّة المستقلة غير المستعبدة، الممكنة مالياً ومهنياً ومعرفياً وقانونياً هي التي تتعاطى مع الحياة بوعي وإدراك واستباق لكل احتمالات المستقبل، هي «الشيطانة» ذات القوّة الأصلية الحقيقية والمتجذرة، وهو أمر إيجابي للمرأة وللمجتمع أيضاً، وكيف لامرأة مستلبة الحقوق أن تربي جيلاً شجاعاً وممكناً؟

أما وصف المرأة بالطيبة والرقة والخجل والوداعة فإن هي إلا أوصاف مخاتلة ومراوغة للتلاعب بها وإخضاعها وتسييرها خارج إرادتها وحقوقها.

كلمة ضرورية في شؤون التربية*

عند الحديث عن النهوض والتقدّم في أي مجتمع، يجب دائماً – وبحسب رأيي – أن نبحث ونتأمل في موضوع التربية. وكلمة التربية – مع الأسف – قد أخذت طابعاً تقليدياً وبسيطاً في بعض الأحيان؛ بدل أن تأخذ طابعها الطبيعي والإنساني والمتجدد. وإن تحقيق المعاني والكلمات الأخيرة، يتطلب حضوراً واعياً إلى القيم الصارمة، التي لا تتجاوز مستويات العقوبة المطلوبة؛ إلى مستويات الإهمال وعدم تحمل المسؤولية.

لقد تناولنا في المقال السابق، مكانة «الغضب» في حياتنا الإنسانية، وإن الترجمة الأجمل لهذا الموضوع، هو الحديث والكتابة عن شؤون التربية. وإن الحافز الأكبر الذي دفعني لذالك، هو أحد الأفلام السينمائية التي شاهدتها في الفترة الماضية، وهو يمنحنا – أي هذا الفيلم – الكثير من المعاني والأسئلة، في مواجهة التقاليد الإجتماعية ومكانة التربية.

وفي الحقيقة، إن الحديث عن هذا الفيلم، سيكون في النصف الثاني من هذا المقال، لأنه جاء مُكمّلاً إلى فيلمٍ آخر – لا يقلُّ عنه جدارةً وأهمية – والذي سنبدأ به موضوعنا في السطور التالية.

جعفر محمد علي

(1)

الفيلم الأول، هو فيلم Red، وهو من إنتاج العام 2008، وهو يحكي لنا عن قصة في غاية الوضوح والمصارحة؛ عن إنحدارات الأبناء وتراجع التربية. وإن قصة هذا الفيلم، تنتمي إلى المجتمع الأمريكي، وبما يحمله من تناقضات وخصوصية وثقافة مجتمع، هي بعيدة نوعاً ما عن مجتمعاتنا في الخليج والمنطقة العربية؛ ولكن (تأثيرات العولمة) والقيم الاستغلالية، تحمل من الأبعاد والمكانة بطبيعة الحال. والجزء الأكثر مصارحة في هذا الأمر، هو دور "المفاهيم الذكورية"، تلك التي أخذت نوعاً جديداً من التأييد والمبالغة في المجتمعات الغربية – ولأسباب مختلفة – وهي تتشابه في بعض الأحيان، مع ثقافة المجتمعات العربية؛ تلك التقليدية منها والرجعية.

يبدأ الفيلم الأول، بمشاهد بسيطة وعادية، لحياة رجل من المجتمع، يعيش وحيداً برفقة الكلب (Red)؛ ويذهب هذا الرجل إلى الصيد بالقرب من إحدى البحيرات، بكل هدوء وطمأنينة. بعد ذالك، يقترب منه ثلاثة شبان مراهقين، يحمل أحدهم بندقيةً للصيد أيضاً، وبعد محادثة تقليدية عن أجواء الصيد، تجاوز الفتى حدود الإحترام والأدب، مستخدماً السلاح الذي بين يديه من أجل سرقة هذا الرجل. وبعدما لم يحصل الفتى المغرور بموقفه على المال من ممتلكات الرجل، قام بإطلاق النار – وبكل برود – على كلب الرجل (Red)، جاعلاً منه الضحية في هذا الموقف.

لم تكن لحظةً عابرةً، تلك التي قضت على الكلب (Red)، فقد كانت تحمل وراءها الكثير من الجراح، تلك التي يحملها الرجل، أي صاحبه ورفيقه. وإن مستويات الإنحطاط والنذالة، التي قام بها هذا الفتى المراهق، بحق الرجل وكلبه – من الإنساني والأخلاقي والطبيعي – أن لا تكون عابرة، أو مِنْ دون محاسبة.

لا أدري، في الحقيقة، إذا كانت الكلمات تستطيع أن تصف وتوجز هذا الفيلم الجريء والهادف؛ ولكنني سأقول عنه، أنه يحمل من المصارحة والنقد والأبعاد الإنسانية، ما يجعله صورةً ومثالاً – ينتمي ويبحث دائماً – عن قيم العدالة والتربية.

(2)

يذهب الرجل، صاحب الكلب (Red)، إلى منزل الفتى الذي قام بالجريمة، من أجل التحدث إلى والده. وللمفارقة هنا، أن في هذه الحادثة وهذه المسألة؛ شقيقان مختلفان، أحدهما جيد والآخر سيئ. وأن الشقيق الذي قام بالإعتداء وإطلاق النار، هو الفتى السيئ – ذالك الذي يعيش نوعاً من «البطولة والثقة» – تلك التي تدفعنا؛ عن البحث عن أسبابها ودوافعها اللاإنسانية.

عند الحديث عن النهوض والتقدّم في أي مجتمع، يجب دائماً أن نبحث ونتأمل في موضوع التربية

إن التبرير للأخطاء في الحياة الإنسانية لا يأتي من الفراغ، بل من البيئة التي تسانده وتدعمه.

والمثال الأوضح لهذه الكلمة، هو شخصية الأب التي تعاملت مع هذا الموقف الحازم، بكثيرٍ من الجمود واللامبالاة غير العادلة.

التربية ومكانتها، هيَ البناء الإنساني الأكثر أهمية وحصانة، عند المواقف الأخلاقية في حياة البشر.

وقد كانت المجتمعات، في العقود السابقة، تنشد التعليم كنوعٍ من الإرتقاء عن الأميَّة والتخلُّف، وهي تجاوزت ذالك تقريباً في الأزمنة الرّاهنة؛ ولكننا لم نتجاوز التحديات المتجددة، وعلى رأسها مسألة التربية. تربية الأبناء على وجه التحديد. وبالرغم من مكانة الثقافة ووعي المجتمع بهذا الشأن؛ إلا أن العمل والتجديد في شؤون التربية، يبقى حاضراً ومهماً. وإن التقدّم والحداثة اليوم، قد منحتنا الأفضلية في التعامل مع أبنائنا؛ بالقيم الحسنة والعادلة – وأيضاً بالتربية الحازمة – التي تجعل مِنْ دورهم في هذه الحياة، مثالاً للإحترام والخير والإنسانية.

(3)

بعض الأفلام السينمائية، تعمل وتحاول جاهداً، تصوير الواقع الاجتماعي ونقده بصورة جديدة ومختلفة. وإن فيلم (Red)، في الحقيقة، قد وصل إلى ذالك وبجدارة عالية فعلاً. والإبداع الحقيقي، هو الذي يقدر على إيصال أكبر المعاني والأفكار، بصورة واضحة وبسيطة.

الأسئلة المهمة والهادفة، هي التي تجعل من المعنى حاضراً في حياتنا. وعلى ضوء هذا الفيلم؛ فإن قيمة العدالة والشرف، أراها، من أكثر المعاني احتراماً ومسؤولية. وإن هذه المعاني، عندما تغيب، تفتح المجال إلى مستويات مختلفة، من التحديات والأزمات.

الإعتذار ومكانته في الفيلم، يأخذ جانباً نبيلاً وانسانياً، نحتاج كثيراً إلى التنوير إليه في حياتنا العصرية. وإذا كانت كلمة «الإرتقاء»، تحمل عنواناً للنهضة الاجتماعية؛ فإن كلمة «الإعتذار»، تحمل عنواناً عظيماً للإحترام والإنسانية. ومن خلال هذا المعنى الهادف – والذي شاهدناه في أحد حوارات الفيلم – بين الرجل وبين الفتى الجيد، والذي أتى إليه، من أجل أن يعتذر على الحادثة التي حصلت في حقه. وقد أبدى الرجل احترامه لهذا الموقف، معتبراً حضوره نوعاً من «الرجولة والمسؤولية»؛ التي تتجاوز موقف أخيه، وتتجاوز أيضاً موقف أبيه.. الذي لم يكن موقفهما، يحمل شيئاً من الإحترام والنزاهة والمسؤولية.

*النص الكامل للمقال على الموقع الإليكتروني لنشرة "التقدمي"

اِتّبِعــوا الحَياةَ التّآلفيّةَ!

هشام عقيل

اِقتَربت النّهاية، وحَلَّ هَلاكُ بَني الإنسِ أجمعين.

الكَثيرُ مِنَ النّكوصيّين نُكوصيّونَ وهُم لَا يَعلَمون، وهُم نَاكرون بِجَهل ولَيسَ استكباراً. ولِهَذَا السَّبب، تَقَعُ عَليّ مسؤوليّةُ تَوضيحِ طَبيعةِ الحَياةِ التّآلفيّة، وضرورتِها، في مبادئ بسيطة، وهيَ كَالتّالي:

لَا تَعبدوا الأصنام. في العُصورِ القَديمة، كَانت الأَصنامُ تُصنَع مِنَ الفَخارة، والحِجارة، والتَمرة. أمَّا أصنامُنا اليَوم فَهيَ المُمتلكاتُ، والكُتبُ، والمَشاهيرُ، والحُكوماتُ، والأخبارُ التّاريخيّةُ، والألقابُ، والصّحفُ، والجَامعاتُ، والبَرلَماناتُ، والأموالُ، والسِّلَع. أنا شَخصيّاً سَمعتُ نُكوصيّاً يَقولُ إنَّهُ لَا يَقرأ، ولَن يَقرأ، إلّا كُتُباً ألّفَها ماركس، ولينين، وستالين. وشَهدتُ نُكوصيّاً يَقولُ إنَّهُ بانتظار اتّحاد سوفيّتي جَديد أن يَنهَضَ عَلَى يَد بوتين. ومَن منا لَم يَجِدْ مثقّفاً، وهُم كُثر في البحرين، مُعتدّاً بشهاداته، وبألقابه، وبمؤلّفاته، وبصوره المُعلّقة في الصُّحُف والمجلّات؟ ومَن منا لَم يَجِدْ بَيننا عَابِداً لفيلسوف، أو لمُفكّر، أو لكاتب، أو لسّياسيّ؟ لدَرَجة أنَّهُ لَا يَبدأ جُملةً من دون أن يؤكّد أنَّهُ يَتحدّثُ باسمه؟ إنَّ التّماثيل قَد حُطّمت قَديماً، ولَكن مَا تزالُ الأصنامُ قائمةً إلى يَومنا هَذَا.

إنَّ المُتآلِفَ هُوَ مُحطِّمُ الأصنامِ في المَقامِ الأوّل.

لَا تُنجّموا. مَا زالَ الكَثيرونَ يؤمنونَ بالتّنجيم حَتَّى وإن كَانوا يَتفادونَ المُنجّمينَ الشّعبيّين. أحَدُ أخطرِ أشكالِ التّنجيم هُوَ الإيمانُ بأنَّ القَدَر يَعمَلُ وفقاً لِمَا نَتَمنّى أو لِما نَتَخيّل. وأرى أنَّ كثيرنَا يُعوِّلُ عَلَى أزمة من شأنها أن تُحدثَ التّغييرَ المُنتَظَر فيَبدأونَ بالتّنجيم. ولَا أستطيعُ أن أحصرَ لَكُم عَدَدَ المرّات الّتي وَجَدتُ فيها نُكُوصيّاً يَهوى التّنجيم. أولَم يَقل المرتدُّ خروتشوف إنَّ الشّيوعيّةَ سَتحلُّ بحلول عام 1990، وفي الواقع انهارَ الاتّحادُ السّوفيتيّ في العامِ ذاته؟ كَمَا قَرأتُ مرّةً لفؤاد النّمري يَقولُ إنَّ البروليتاريا سَتَنتَصر في العالم كُلّه بحلول عام 2020؛ وهُوَ توفّي بَعدَ هَذَا المَوعد بعامين. أولَم يَقل الحِزبُ النُّكُوصيّ الصّينيّ إنَّ الاشتراكيّةَ سَتَحلُّ كُلّيّاً بحلول عام 2049، والرّأسماليّةُ –يوماً بَعدَ يوم– تَتعزّزُ في الصّين؟ ومؤخّراً قَالَ الرّاحلُ عَبدالله خَليفة إنَّ الاشتراكيّةَ سَتَستغرقُ قُرُوناً وسَتَحلُّ تلقائيّاً حينَ تَنهارُ الأسعارُ في ظلِّ سَيطرةِ العُمّال عَلَى البَرلَمانات. ومَا دامَ الأمرُ مُتعلّقاً بقرونٍ من وَقتنا الحاضر، فَإنَّ لَا أحدَ منّا سَيكونُ حَيّاً لِيشهَد مَا إذا كَانَ تَنجيماً صائباً أم لَا. كَمَا أذكرُ أنّني قرأتُ لِأَحَد المتحمّسينَ، بَعدَ الغزوِ الرّوسيّ لأوكرانيا، يَقولُ إنَّ الرّوسَ سَيطوِّقونَ كييفَ في غُضونِ أسبوعٍ كامل، وإنَّ الأوكرانَ سَيُغلَبونَ كُلّيّاً في غُضونِ شَهرٍ واحد؛ كَانَ ذَلِكَ قَبلَ عامين. كَمَا أنّني أذكرُ أنَّ أحَدهُم قالَ، في أكتوبرَ الماضي، إنَّ إيرانَ، ومَعَها محورُ المقاومة، حَتماً تُجهّزُ لِحَربٍ شَاملة مَعَ إسرائيلَ مَا إذا قامت الأخيرةُ باجتياحِ غزّة؛ كَانَ ذَلكَ قَبلَ عشرةِ أشهر.

أُحذّرُكُم من شَكلٍ خَطيرٍ لِهَذَا النّوعِ مِنَ التّنجيم: "الماديّةُ الدّيالكتيكيّة". إنَّها لمنظومةٌ فلسفيّةٌ تَضمّنُ النَتيجةَ وتُسقطُها عَلَى الأسباب. فَالمُنجِّمَ يَضعُ مثالَهُ قبلَ كُلِّ شَيءٍ آخر، ومِن ثَمَّ يَعِدُّ الأسباب. ألَم يَقل أحَدُهُم إنَّ واقعَ أنّنا نَشهدُ صِراعاً مَا بينَ "الشّمالِ العالميّ" و"الجنوبِ العالميّ"، لَا بُدّ أن يعنيَ "أحقيّة" الفكرةِ المَخصيةِ القائلة بتَعدّد الأقطاب؟ إنَّهُ قَد وَضَعَ، ديالكتيكيّاً، الصّراعَ بينَ الشّمالِ والجنوب، وأسقَطَ استنتاجاً يُحبّذهُ هُوَ عَلَى التّناقض ذاته، إذ إنَّهُ أخَذَ الجانبَ السّالبَ مِنَ المُعادلة (الجنوب)، وأعطاها الأوليّةَ في التّناقض. وعَلَى هَذهِ الطّريقة، أصبحَ مُنجّماً مِنَ الدّرجةِ الأولى.

إنَّ المُتآلِفَ لَا يُؤمِنُ بِالحكاياتِ الخُرافيّة.

جَاهدوا المُذهبات والشَّهَوات والأهواء. إصلحوا أنفسَكُم، ولَا تَكونوا عَبيداً لِمَن كَانَ هَمّهُ بَطنَهُ وفَرجَهُ، فَليتَطَهّر وليُمسك ليَوم كامل، وإذا عادَ فَليَتَطَهّر وليُمسك ثانيّة. ومَن كَانَ هَمّهُ جَيبهُ فَليَتَصدّقَ مَعاشَ يوم كامل لأيِّ مُحتاج. ومَن شَعرَ أنَّهُ قَد بَلَغَ الجِبالَ والسّماءَ فَليخدم وليَطعَ، وإذا لَم يَستطع فَليُمرّغ وَجهَهُ في التّراب ويَمشي ذَليلاً بينَ أصحابه. ومَن عَشقَ النّومَ عَليهِ بالهُجُود، إلى أن يَأخذهُ الذّهولُ بأعاجيب الطّبيعة. ومَن فَرَّ من العالم بالخَمرة فَليستَبدلها بالماء. لَا تَتركوا الشَّهَوات ومُذهبات العَقل مِن دون مُجاهدة. مَن أرادَ تَغييرَ العالم فَليأخذ هَذَا الوزرَ وليُجاهِدَ نَفسَه، وإذا لَم يَستطع فَليَلزَمَ بيتهُ وصَمتهُ!

إصلحوا أنفسَكُم واجتَمعوا في جَماعة المُتآلفينَ وأدّوا الألفة. التّنظيمُ السّياسيّ وَحدهُ لَا يَنفعُ بِشَيءٍ مَا لَم يَكن قائماً عَلَى جماعةٍ متآلفة، أو مُجتمع الألفة، أو المؤتَلَف.

اتّبعوا الحياةَ التّآلفيّة، إذ ذَلكَ هُوَ الفعلُ الثّوريّ الأسمى اليوم.

تمظهرات المثقف في أزمنة الحرب

نقِفُ اليوم على أعتابِ حربٍ قد تعصف بالمنطقة، تتصاعد التهديدات وتزداد قوة الفعل و ردّ الفعل، وعلى مايبدو أن الحرب – إن حدثت – هذه المرة لن تكون كالحروب التقليدية السابقة، جيشان نظاميان يتواجهان في رقعة جغرافية محددة، بل الظاهر أن المكون الأساسي والفاعل لهذه الحرب ستكون تنظيمات عسكرية متمرسة ناضلت على مدى عقود ضد الاحتلال، أو ربما يكون الجيشان النظامي الكلاسيكي والتنظيمي العسكري يقاتلان معاً ضد احتلالٍ هجين لم يعد له أي حقّ للبقاء في منطقةٍ ترفضه منذ نشأتِه وخصوصاً بعد أن أمعن في الوحشيّة وفي امتهان سيادة دول المنطقة، يرتكب الاحتلال حتى هذه اللحظة أفظع الجرائم وأشدّ أنواع الشرور ضد الإنسانية، إبادة جماعية أصبح العالم كله يستنكرها ويشمئز من مرتكبيها ويتحركُ جِدّياً بكلّ ما يمكن من أجل الضغط لإيقافها.

تُرى ما هو الشكل الذي ستكون عليه الثقافة في أزمنة الحرب وعلى أيّةِ هيئة سيتمظهرالمثقف؟

شخصياً لا أعرف إجابةً محددةً على هذا السؤال لأني لم أعاصر حرباً كبرى ولم يسمح لي العمر والخبرة بَعدُ لتقييم وتقديم دور الثقافة والمثقف في أزمنة الحرب. منذ السابع من أكتوبر – التاريخ المفصلي للمنطقة – لاحظتُ سلوكياتٍ متباينة للمثقفين، ثمةَ نوع من المثقفين فضّلَ الإنكفاء على الذاتِ والإختفاء تماماً، ذاك النوع الأول. والثاني نوعٌ فضّل أن يمارس دور اللامبالاة وعدم الإهتمام بما يحدث فهو يتعاطى مع الثقافة كما لو أنه لا يوجد حدث مزلزل قريب منه وسيل دماءٍ لايتوقف، وإزاء هذا السلوك البشري الغريب قد يتطلب الوضع الرجوع إلى التحليل النفسي لدراسة هذه الحالة السايكو/ سوسيولوجية لهؤلاء الأفراد لأنه ليس من السليم ألّا تتفاعلَ أو تحزنَ أو تعبّر أو تغضب بعد كل ما يحدث من إبادة، و التفاعل – إن وجد – لابد أن يتمظهر في سلوك مختلف حتى وإن كان شفيفاً، هذه إشكالية أخلاقية لايسع المقام هنا للتفصيل فيها ربما نعود إليها في مقالات أخرى.

أما النوع الثالث فهو المثقف الفاعل والمنفعل، المؤثر والمتأثر، بكل شيء! نعم بكل شيء، بما يقرأ، بما يكتب، بما يتحاور، بما يحدثُ من أحداثٍ داخل حدود ذاته وخارجها، يتعاطى مع الأحداث الراهنة بحسّه الإنساني المرهف وبذلِه وعطائه المتجدد، وهو إذ يمارس هذا الدور لا يريد شهرةً إنما ماتملي عليه أخلاقُه وذوقه الثقافي الرفيع. الإنسان كائن اجتماعي بالطبع يشعر بالمسؤولية تجاه الآخرين من حوله يساندهم يتعاطف معهم لأنه قد يحتاج يوماً الى من يآزره وهو دائم القلق من هذه الناحية وإنه سيشعر بالإغتراب والوحشة إذا ما خلى من هذا البعد الإجتماعي المهم. تركز الفلسفة الوجودية على ضرورة القلق الوجودي وتحمّل المسؤلية حتى يتخلص الإنسان من أزماته. مِن منظور فلسفته يرى الفيلسوف الألماني هديغرد أن جوهر القلق الوجودي هو الخوف على الوجود من العدم، وقد وضع هديغرد حضور الإنسان القلِق في الوجود كركيزة أساسية في هذا العالم تعطي الحياة معناها وعليه أن يكون دائم القلق تجاه مصيره (والقلق هنا بالمعنى الفلسفي أي التفكّر والمسؤولية)، فالإنسان بقَلقه يصنع نفسه وعالمه المحيط به ولايمكن للإنسان أن يجد نفسه في هذا الوجود إلا إذا كان حرّاً. وفي فلسفتنا الإسلامية وضع ابن عربي الإنسان كمظهر لصفات الحق، إذ أن الخالق أراد للإنسان أن يكونَ خليفته في الأرض وعليه مسؤلية التمظهر بصفات الله الحسنى وأعلاها رتبةً الرحمة والحب، واللامبالاة نقيضهما.

حسين آل ربيع

المثقف هو أي شخص يمتلك فن الإتقان والإبداع والنقد والإنماء المعرفي ويكون قادراً على نشره وإذاعته بين الآخرين

في الكتاب الذي يتناول فيه الدكتور عبدالجبار الرفاعي شؤون القراءة والكتابة وأثرهما على حياته "مسرات القراءة ومخاضات الكتابة" يذكر في فصل بعنوان "أن نكتب يعني أن نختلف" بعد أن يحثّ الكاتبَ والمثقف بأن يذكر آرائه المخالِفة لأيديولوجيا المجتمع المغلق بكل صراحة وجرأة، يعود بعد عدّة صفحات يستنكر مفهوم المثقف العضوي الذي صاغه غرامشي، يقول:"يكرر بعضهم بطريقة مملة عبارات للمفكر اليساري الإيطالي غرامشي وكأنها نصوص مقدسة، بوصفه مثالاً للمناضل الذي يجب أن يتخذه نموذجاً كل من يكتب. الطريف أن هؤلاء يتحدثون عن حق الإختلاف، وضرورة تعبير كل كاتب عن تفكيره هو، في الوقت الذي يريدون منه أن يكون صورة مشوهةً من غيره" ص92.

ما القراءة والكتابة إلا تأثير وتأثّر! صحيح أن الإتباع الأيديولوجي المطلق لأي مفكّر أو فيلسوف أمر غير سليم يضيّق أفق المثقف القارئ والكاتب، لا يراد مِن الكاتبِ أن يكونَ صورة من غيره إنما أن يكون نموذجياً من ناحيةِ الفعل والإنفعال غير منفصل عن الواقع المعاش وعن الأحداث الخارجية وألا يكون مدفوناً داخل كتبه وهذا –على ما أظن– ما قصده غرامشي. أن يكون الكاتب بلا هُوية يكتب بشكل منفرد ولايفكر إلا في نفسه في ظل كل التحديات المصيرية الراهنة هو أيضاً سلوك فرداني أناني غير سليم وهو سلوك يناقض الى حد ما عنوان هذا الفصل الذي حدده الرفاعي في مواجهة التصلب الإجتماعي.

من جُملةِ تعريفاتٍ للمثقف انتخبتُ هذا التعريف: المثقف هو أي شخص يمتلك فن الإتقان والإبداع والنقد والإنماء المعرفي ويكون قادراً على نشره وإذاعته بين الآخرين، والإنتلجنسيا هم الطليعة من المثقفين أهل الفكر والنخبة الفنية والإجتماعية والسياسية، كذلك حمَلَةُ المعرفة المتخصصة في التعليم...الخ، والمثقف لغوياً تعني الرمح المقوّم وهي الفاعل مِن ثقّفَ (الرائد) وقد ذكره عنترة في مُعلّقته في بيتٍ قال فيه: «جادَت لهُ كفّي بعاجلِ طعنة ** بمُثَقّفٍ صَدقِ الكعوبِ مُقَوّمِ".

في رأيي المتواضِع، أنْ تكونَ مثقفاً يعنِي أن تَجتهد في تقمّص الصفات الثلاث المذكورة أعلاه كلها أن تكون منكفئاً، ولامبال، ومندفعاً مبادراً، حسبَ الظرف وما يقتضيه المبدأ الأخلاقي والموقف الإنساني وأريحيةِ ذاتك، أن تعي موضعكَ تماماً في أي زمان ومكان.

يكون الحبّ أكثر زخماً كلما كان أقرب إلى الموت

ماركيز في (الحُبّ في زمن الكُوليرا)

مَنْ غير غابرييل غارثيا ماركيز، بإمكانه صنع هذا الجمال الروائي، وبناء أحداث مهولة بمخيال أدبي غني كالذي في روايته الخالدة «الحبّ في زمن الكوليرا»، فإذن لا غرابة من أن نقول بأن هذه الرواية واحدة من أجمل روايات القرن العشرين. وكما غوستاف فلوبير في روايته «مدام بوفاري»، صاغ ماركيز روايته باقتدار، حيث لا تكمن قيمة كلّ جملة من الجمل الواردة فيها في معناها، وإنما في قدرتها على الإبهار، لا من حيث الصياغة فقط وإنما من حيث الحبكة والعرض والأسلوب والدقة والقوة في السرد.

حقّق ماركيز في هذه الرواية معجزة حُبّ مستحيلة في الواقع العملي عندما لجأ لأسلوب مراوغ، ولا يخطر على بال، في حبك أحداث الرواية، إذ انتقل من خاتمة حياة زوج وموته لبداية علاقة عاطفية مع الزوجة الأرملة مع الفتى، الذي أصبح كهلاً، وجمعت بينهما علاقة حب في سنوات الصبا، حيث رفض والدها تزويجها إياه، وأخذها بعيداً عنه حتى نسيته تماماً، للدرجة التي حملت والدته، ونتيجة لمعاناته في تلك الفترة، على الاعتقاد بأنه أصيب بمرض الكوليرا: "فقد القدرة على التوجّه وعانى من إغماءات مفاجئة، ففزعت أمه لأن حالته لا تنتمي إلى اضطرابات الحب وإنما إلى اختلاطات الكوليرا".

العاشق المتيّم بالأرملة يبرز من بين المعزين بوفاة زوجها وهي في مصيبتها، مرتدياً ملابس الحداد على الرغم من أنها قد محته من حياتها منذ سنوات طويلة، "كانت هذه المرّة الأولى التي تراه فيها بوعي طهّره النسيان. ولكن قبل أن تتمكن من شكره لهذه الزيارة، وضع قبّعته فوق موضع القلب، وشق الدُّمل الذي كان قوام حياته بأن قال لها بصوت مرتعش ووقور: "فيرمينا ... لقد انتظرتُ هذه الفرصة لأكثر من نصف قرن، كي أكرر لك مرة أخرى قسم وفائي الأبدي وحبي الدائم".

أليس جنوناً أن يقدم كلاهما على إعادة علاقة حب مضى عليها خمسون عاماً وقد أصبحا في أعمار تجاوزت السبعين؟

لغابرييل ماركيز رأي آخر إذ يقول "لقد عاشا معاً ما يكفي ليعرفا أنّ الحب هو أن نحب في أي وقت وفي أي مكان، وأن الحب يكون أكثر زخماً كلما كان أقرب إلى الموت". إنه لحب عاصف احتفظ فيه فلورنتينو أريثا بقلبه لفيرمينا وحدها رغم العلاقات الغرامية التي راكمها طوال واحد وخمسين عاماً وتسعة أشهر وأربعة أيام بعد زواجها بالطبيب الثري خوفينال أوربينو والتي وصلت إلى 662 علاقة.

بعد كل تلك المدة وبوفاة زوجها يعترف لها للمرّة الثانية بحبه لها، وكأنما هذا الحب أصبح مُخلداً أو بتعبير آخر مؤبدًا.

مقدار الفرح الذي تملك فلورنتينو أريثا بموت زوج حبيبته والأمل الذي راوده بإعادة العلاقة من جديد مع الأرملة صوّره غابرييل ماركيز بصورة واضحة تثير الإعجاب، "كان يعرف منذ زمن أنه مرصود لإسعاد أرملة وأنها مرصودة لإسعاده، فاستعادة فيرمينا داثا كان هدف حياته الوحيد، وكان متأكد من أنه سيصل إليه عاجلاً أم آجلاً"، حتى إنه أقنع والدته "بمتابعة إعداد البيت ليكون مناسباً لاستقبالها في أية لحظة تحدث فيها المعجزة". وافقت والدته فاشترت البيت ورممته، وخصصت للأبناء الذين سنجبونهما غرفة.

حميد الملا

تصوير جميل ومضحك عندما يبرز لنا الكاتب كيفية تغيّر الأحوال لملاقات الحبيب لحبيبته بعد كل تلك السنين، وقد رأت فيرمينا ذلك أثناء الرحلة البحرية التي قاما بها "بدا لها مختلفاً، ليس لأنها رأته بعينين أخريين حينئذ، وإنما لأنه كان مختلفاً بالفعل. فبدلاً من الملابس الجنائزية التي ارتداها طوال حياته، كان ينتعل حذاءً أبيض ويرتدي بنطالاً وقميصاً من الكتان، مفتوحاً عند العنق وأكمامه قصيرة، وعلى جيبه الذي فوق الصدر نُقشت الحروف الأولى من اسمه. وكان يعتمر قبعة اسكتلندية، بيضاء اللون أيضاً، ويضع نظارة ذات عدسات قاتمة فوق نظارة ضعف النظر الأزلية".

حبّ من هذا النوع خارج عن المألوف لا يمكن أن يكون طبيعياً، ولكن إبداعات ماركيز لا تقف عند حدّ، إذ طوع بطلي الرواية بحنكته لإخراجهما من كل ورطة واجهتهما طوال مسيرتهما العشقية إن صح التعبير، وذلل العقبات لاستمرار هذا الحب، رغم وجود أبناء للحبيبة البالغة من العمر عتيا، إضافةً للموانع الاجتماعية: "إنهما يجلسان معاً للمرة الأولى، لا تفصل بينهما سوى هذه المسافة الضيقّة، ولديهما فائض من الوقت ليرى كل منهما الآخر بهدوء، بعد نصف قرن من الإنتظار. ولقد رأى كل منهما الآخر كما هما: عجوزان يترصّدهما الموت".

كان هذا الرجل أي فلورينتينو أريثا أقرب إلى الرجل الملهم بالروح القدس كما قالت العمّة اسكولاستيكا من خلال التصرفات والأفعال التي يقوم بها من أجل حبيبته، فكانت رسائله إليها جد نبيلة لمحو الماضي وليست محاولة لتكرار سفاهة تصريحه لها بالحب للمرة الثانية، أي بعد وفاة زوجها وليست كما "الليلة التي كرر فيها عرض حبه، حين كانت أزهار زوجها الميت لا تزال تعبق في جوّ البيت".

رواية لم أقرأ أجمل منها، تقع في أربعمائة واثنين وأربعين صفحة، كل صفحة فيها تعبق برحيق فلسفة ماركيز في الحياة وحكمه وأحكامه على الوقائع، فيها من الأحداث التي مرّت بها بلده الكثير وفيها من العبر أيضاً الكثير، ولا أظنني سأصبر كثيراً على إعادة قراءتها مرات أخرى، فهذة الرواية جديرة بذلك لثراءها وللاستزادة والاستفادة من قوة الطرح وجمال الأسلوب والعمل الدرامي المذهل.

غضب الطُلاب ومسؤولية الجامعات

بولاية نارِيندرا مودي Narendra Modi الرئاسية الثالثة، تظل الديمقراطية في الهند مُعرضة للخطر. تصفُ المُعارضة، التي حققت مكاسب مع الفقراء والمحرومين والمهمشين من الناخبين، حاجته للحكم في إئتلاف بِأنهُ إنتصار. ولكن هل سيؤدي الصراع الداخلي والأخطاء السياسية إلى صرف انتباه اليسار عن مواجهة تحالف الأحزاب القومية الهندوسية؟

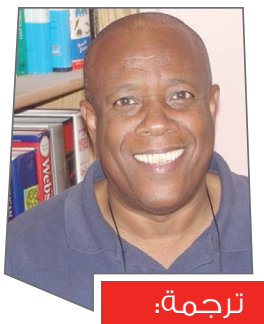

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Sidra Shahid

كان غضبِ الطلاب إزاء العدوان الإسرائيلي على غزة موجهاً نحو جامعاتهم، التي يعتبرون رفضها إدانة العدوان الإسرائيلي بمثابة فشل أخلاقي . ومن خلال منع الأحتجاجات 'لحماية' حيادية البيئة الأكاديمية، يبدو أن الجامعات تؤكد ذلك.

وفي 26 يناير، أرتأت أعلى محاكم الأمم المتحدة في مدينة هيغ Hague في هولندا، محكمة العدل الدولية، من المعقول أن يبلغ العُنف الإسرائيلي في غزة إلى الإبادة الجماعية. وأكد هذا الحكم القضائي ما كان قد وثقهُ الصحفيون في غزة على مدى شهور في مخاطر شخصية هائلة، وما كان عُلماء الإبادة الجماعية يكتبونه. وما حذر منهُ عُلماء الإبادة الجماعية. وفي وقت كتابة هذا التقرير، أصبح الوضع أكثر حِدة: فقد سيطرت المجاعة على مساحات واسعة من قطاع غزة . وأصبح الغزو البري لمنطقة رفح وشيكاً، ومازالت الصُحُف تنشر تقارير عن فظائع يومية.

وفي جميع أنحاء أوروبا والولايات المتحدة كان الطلاب يحتجون على مواقف جامعاتهم بشأن غزة. لقد تجنبت العديد من الجامعات إتخاذ أي موقف، وكثيراً ما تُردد مواقف بلادها كالببغاء. يرى طلاب تلك الجامعات الأهميةَ الأخلاقية للوضع بشكل أكثر وضوحاً. إنها لا تتمسك بالتفكير العملي . إن حسهم الأخلاقي لطيف ويتوقعون أن يتم تنظيم وبناء العالم وفقاً لما هو حق، وليس لما هو مُناسب. ولكن بدلاً من الإشادة بالوعي السياسي لدى طُلابها، صوّرت الجامعات غضب الطلاب بإعتباره أمراً غير مُنظّم وخطير. وفي الجامعة التي أعملُ بها أنا، إستدعى المسؤولون أفراد الشرطة لفض الأحتجاجات. ومن خلال أختيار تجريم الطلاب المتظاهرين بهذهِ الطريقة، تُسيء الجامعات تصوير غضب طلابها.

الغضب والأحتجاج

كثيراً ما يُساء فهم الأحتجاجات الغاضبة. ومن السهل معرفة السبب. وتُخبرُنا الحِكمة البديهية بأن الغضبَ سلوك مُتغلبَ وعرضة للإفراط ، كما عبرت بذلك فيلسوفة الأخلاق الأمريكية مارثا نوسبوم Martha Nussbaum. في الغالب الفيلسوفة مارثا نوسبوم مُتشائمة بشأن الغضب، والتي تعتقد أنهُ دائماً يَقترن بالإنتقام. وبالفعل فإن الإنتقام كثيراً ما كان دافعهُ الغضب والإعتقاد بأن العُنف الصالح يمكن أن يوازن ميزان العدالة. فالفيلسوفة نوسبوم تُجادل قائلة، أن هذا شكل من 'التفكير السحري' تدفعهُ 'أفكاراً ميتافيزيقية من التوازن الكوني'. لا يمكن أبداً للعُنف الذي نمارسه أن يُزيل الضرر الذي لحق بِنا. الأضرار لا تُلغي الأضرار.

إذا قَبلنا بوجهة نظر الفيلسوفة نوسبوم ، فإن الطلاب يحتجون لأنهم يُريدون الإنتقام. فهم يتظاهرون من أجل أستثارة المجتمع الأكاديمي، وهدف احتجاجاتهم وصُراخهم لمعادلة الضرر. وبالإضافة إلى المشاكل الأخلاقية الواضحة مع الأنتقام، هذا المنظور يجعل غضب الطلاب يبدو موجهاً بشكل خاطئ وغير عقلاني. فالغضب الأنتقامي يبدو عادةً موجهاً إلى كل من تسبب في الأذى، ولكن الجامعات لاتتحمل المسؤولية السببية عن الأحداث في غزة.

إلا أن وجهة النظر هذه تستبعد الأشكال الأخرى من الغضب، حتى لوسجلت أحد أشكاله الأكثر إنتشاراً. ويمكن أن يكون الغضب أيضاً تعبيراً عن الأخطاء وتعبيراً عن الحاجة إلى المُحاسبة. أنا أكون غاضباً عندما يقوم شخص، تربطني به علاقات أخلاقية، بمخالفة تلك العلاقات. ويُعبّر الغضب عن اعتقادي بأن خطأ ما قد حدث وعبر عن ذاته من خلال الأحتجاج. في الواقع، وفقاً لرأي الفيلسوف الإنجليزي بيتر فردريك ستروسون Peter Fredrick Strawson، إن العواطف مثل الغضب والسُخط تُشكل جزءاً من ردودنا الأخلاقية. إن عدم التأثير في مواجهة العُنف الموضوعي يعني فقدان جزء من إنسانيتنا.

الفيلسوفة والشاعرة الأمريكية أودري لورد Audre Lorde وصفت الغضب في أحدى المرات 'بالقُربان'، القُربان الذي يُقدَم لِؤلائك الذين يُعانون، عمل تضامُني. لقد وجدت نفسها تُدافع عن الغضب جزئياً لأن غضب الطبقات المُضطَهَدة غالباً ما يتم رفضه من قِبل الطبقات الحاكمة بإعتباره عُنفاً مُدمراً .لقد جادلت أودري لورد، بأن هذا النوع من الغضب يختلف عن الكراهية والإزدراء، اللذين يعتبران في الواقع مُدمرين تماماً.

ولكن سِواء فهمنا الغضب على أنهُ نوع من التضامن، أو هو تعبيراً عن السُخط الأخلاقي، فنحن نعترف بأنهُ في كِلتا الحالتين يمكن أن يكون مُنتجاً. إليكَ كيف يصف الفيلسوف الأمريكي جيرمي بيندِيك كيمر Jeremy Bendik Keymer جوهر الغضب الأخلاقي:

يتقدم بشكوى ويطلب الإصلاح الأخلاقي – للعلاقة في المقام الأول، وعلى الأقل لمكانة الشخص الذي تم محوه مؤقتاً بسبب الخطأ الأخلاقي. وإذا لم يعترف المذنبون بخطئهم ، فإن المجتمع الذي يسمع الأحتجاج يمكنهُ على الأقل أن يُعزز مكانة الشخص المظلوم ... إن الطبيعة العلنية للأحتجاج الغاضب تؤكد على أمرٌ أخلاقي مُهم، وبالتالي فهي تدعو إلى التضامن حيثُ أنها تدعو إلى المُحاسبة الأخلاقية.

إن هذا التقرير عن الغضب يضع الغضب في قلب الأحتجاجات الطلابية في رؤية مُختلفة. فالطلاب المُحتجون يشعرون بمزيج من الحُزن والغضب إزاء العُنف الذي يُشاهدونه على شاشاتهم أو، في كثير من الأحيان إذا كانوا فلسطينيين، يُمارَس ضد أولئك المُقربين منهم. وهم موجودون في جامعاتهم لأنهم يرون أن هذه المؤسسات تفتقر إلى الإتساق الأخلاقي. لقد أخبرني الطلاب المُحتجين في هولندا بأنهم يعتقدون أن المؤسسات التعليمية الهولندية تُمارس معايير مُزدوجة فيما يتعلق بالحروب والعُنف. ففي حين تم إدانة الفظائع الأخرى بشدة، وأبرزها العدوان الروسي على أوكرانيا، دعت المؤسسات الهولندية إلى الحِياد عندما يتعلق الأمر بغزة. ولكن الطُلاب يعتقدون أن التمسك بالحياد كقيمة أمرٌ ساخر، عندما يتم استخدامه بشكل إنتقائي ويؤدي إلى إدامة تهميش الضُعفاء.

الحياد

لنفترض أن هناك شيء من المعقولية لفكرة أن الجامعات يجب أن تبقى مُحايدة. فجامعة أمستردام، على سبيل المثال، قد مَنَعت كلُ تعبير ذو الطبيعة الثقافية والسياسية و/أو الدينية في أحكامها الداخلية لمباني الحرم الجامعي مُستشهدة بدور الجامعة كمكان مُحايد للتعليم. ويُشير مسؤولو الجامعة إلى أن المساحة الآمنة للجميع هي مساحة غير سياسية. وإذا قبلنا بهذهِ الفكرة، عندها يمكن أعتبار الغضب الطلابي في الحقيقة

على أنهُ موجه بشكل خاطئ: فهو لا ينتمي إلى الجامعات.

ولكن إذا أردنا للجامعات المحافظة على حياديتها في مواجهة الفظائع، يجب أن نسأل أنفُسُنا ما الذي نعنيه بالحياد بالضبط. إن العديد من الأشياء التي يُدرسُها الأكاديميون والعُلماء موجودة على مُستويات مُتعددة. خُذ الفسفور الأبيض على سبيل المثال. فهو من ناحية، مادة كيميائية تُثير الفضول العلمي الموضوعي ويمكننا دراستها في مُختبر الكيمياء؛ ومن ناحية أُخرى، هو مادة كيميائية تُستخدم في الذخائر المحظورة بموجب إتفاقيات جنيف لأنها تُسبب حُروقاً من الدرجة الثالثة تصل إلى العُظام ويمكن أن تؤدي إلى فشل العديد من الأعضاء عند الإنسان. وقد كشفت منظمة العفو الدولية عن أن الجيش الإسرائيلي أستخدم قنابل الفوسفور الأبيض في هجومه على قطاع غزة ضارباً بالحائط المحاذير الدولية في عدم استخدام هذا النوع من القنابل المحظور استخدامها.

لا توجد موضوعات علمية على مستويات مُتعددة فحسب، بل أن الجامعات تُشكّل أيضاً فضاءات معيارية وسياسية بمعنى أكثر مُباشرةً. فهي تُصْدر أحكاماً تقييمية حول ما هو مُفيد في مجال العلوم. فهي تستلم وتُعطي التمويل على أساس التقييم المعياري. لقد شاركوا في الإستعمار وتجارة العبيد. إن الجامعة، بعيداً عن كونها مكاناً نقياً مُحايدة تتكاثر فيها المعرفة دون أن يمسها العالم، هي جامعة سياسَية بكل ما تحملهُ الكلمة من معنى. ولايمكن أن تكون الجامعة على غير هذا النحو.

بإمكاننا صرف النظر عن هذه الحقيقة، ولكن عندها نحنُ أنفُسُنا نقوم بإختيار معياري: نتجاهل الواقع الإنساني، الذي يُشكّل ويُحفز مَساعينا الفكرية، والعالم الذي يكون فيه للمادة العلمية معنى وأهمية.

يرفض الطلاب المُحتجون تجاهل العالم الذي يُعتَبَر تعليمهم جزءاً منهُ.

المسؤولية

الآن، قد يُجادل البعض أنهُ لايمكن تحميل الجامعات المسؤولية المُباشرة أو غير المُباشرة عن الوضع المُروع في غزة، وهذا يعني مرة أُخرى أن غضب الطُلاب موجه بشكل خاطئ . فهو يستهدف المؤسسات الخطأ. لكي نفهم معنى مسؤولية الجامعات، من الأهمية بمكان الفصل بين شكلين من أشكال المسؤولية: السببية والسياسية. إنني مسؤول سببياً عن حدثاً ما إذا كان ذلك الحدث قد وقع نتيجة لعمل قمت بهِ. ولكن كما جادل فلاسفة مثل

المُنظرة السياسية الأمريكية آيرس ماريون يونغ Iris Marion Young فإن هذهِ النظرة السليمة للمسؤولية لاتنطبق إلا على نِطاق ضيق من الحالات.

ووفقاً للمُنظِرة السياسية آيرس يونغ، إن المسؤولية تتجاوز إلى حد كبير الحالات التي يكون فيها الفاعل المسؤول هو الشخص الذي تسبب في الضرر. وحتى لو لم يكن الأفراد والمؤسسات مسؤولين سببياً عن الظُلم، فإنهم مع ذلك 'مسؤولين سياسياً'. أي أنهم في وضع يسمحُ لهم بالتصرف 'بطريقة مُناسبة أخلاقياً' فيما يتعلق بالظُلم، على سبيل المثال بأتخاذ خطوات لمواجهته. ومن وجهة نظر آيرس يونغ، رغم أن الجامعات لم تتسبب في إندلاع العُنف في غزة، فإن مسؤوليتها لا تزال تتلخص في القيام بشيء حيال ذلك. تماماً كما نستطيع نحنُ، كناخبين وصانعي السياسات وطُلاب وأعضاء هيئة تدريس وإداريين وما إلى ذلك، أن نضمن تحقيق 'النتائج' الصحيحة. ببساطة: إذا سَقَطتَ من فوق دراجتك لأن شخصاً ما دفعك، فأنا لستَ مسؤولاً بشكل مُباشر أو غير مُباشر عن سقوطك. ولكني مسؤولاً عن مُساعدتك على النهوض من على الأرض. وهذا النوع من المسؤولية مدموج في نسيج علاقتنا الإجتماعية. ولهذا السبب لاتستطيع الجامعات أن تتخلى عن مسؤولياتها تجاه الظُلم لمُجرد أنها ليست مسؤولة سببياً عنهُ. وما دامت الجامعات في وضع يسمح لها بفعل شيء لتحسين الوضع، فإنها تظل مسؤولة سياسياً. لِنأخذ القضية الهولندية. بينما الجامعات في هولندا ليست مُتورطة في الحرب على غزة بشكل مُباشر(خلافاً للدولة الهولندية، التي تبيع بطريقة غير قانونية طائرات أل F35 المُقاتلة لإسرائيل)، فهي من الناحية السياسية تظل مسؤولة. بإمكانها، مثلاً، تعليق العلاقات مع المؤسسات والشركات الإسرائيلية، في حين تدعم الطلاب والمؤسسات الفلسطينية التي تتعرض للهجوم. وبإعتبارها مؤسسات تعليمية قوية تحتل مكانة مهمة في المشهد الوطني والدولي، فإن الجامعات قادرة على إحداث فرق من خلال اتخاذ مواقف أخلاقية. وهذه هي المسؤولية التي يريد الطلاب من الجامعات أن تدركُها.

وفي نفس الوقت، صحيح أن للغضب حدوده. إن التركيز على عواطفنا كشهود على الفظائع هو احترام للذات، لأنهُ يضع أنفسنا كأولوية بدلاً من الفظائع التي تُرتَكَب.

وعلاوة على ذلك، وكما تُشير فيلسوفة الأخلاق مارثا نوسباوم Martha Nussbaum، أن الغضب والعُنف وحدهما لا يؤديان إلى التغيير: فهما غالباً ما يكونان قصيري الأجل. أتذكر السخط المُستمر إزاء معاملة المهاجرين في أوروبا في ذروة "أزمة المهاجرين" في عام 2015: في عناوين الصُحُف، وفي الإحتجاجات المُتكررة، وفي فصول الدراسة. والآن يُعاني المهاجرون في ظروف لا تُطاق في مُعسكرات مُختلفة في جميع أنحاء أوروبا ويستمرون في فقدان أرواحهم بأعداد كبيرة على حدود وسواحل أوروبا – كُلُ هذا، بينما يُحقق اليمين المُتطرف البغيض إنتصاراً سياسياً تلو الأخر. لقد ولت تلك الأحتجاجات الصاخِبة للمهاجرين عندما كانت هناك حاجة ماسة إليها.

الغضب مؤقت؛ ما نحتاج إليه هو إلتزامات بالعدالة بُنيوية ودائمة. حيثُ يمكن أن تكون المؤسسات المُستقرة والمجتمعات والجامعات قواعد لهذهِ الإلتزامات.

التضامن

كطُلاب أو مُعلمين، نحنُ مرتبطون بعضنا البعض ليس فقط كأعضاء في مجتمع أكاديمي، ولكن أيضاً كأعضاء في مجتمع أخلاقي. أتساءل، كيف يُمكننا أن نقف مع زُملائنا الأكاديميين الفلسطينيين في غزة عندما نفشل في إدانة إبادتهم؟ لقد دمرت إسرائيل كل جامعة في غزة من خلال الغارات الجوية وعمليات الهدم والتدمير المُخطط لها. وبحسب المرصَد الأورومُتوسطي لحقوق الإنسان، فإن الهجوم الإسرائيلي على غزة أسفر عن مقتل 94 أستاذاً جامعياً «فضلاً عن مئات المحاضرين الجامعيين وآلاف الطُلاب». هذا ناهيك عن مصير المدارس في غزة والتلاميذ الذين كانوا يرتادونها ذات يوم، حيثُ أصبح الآلاف منهم يتضورون جوعاً، والآلاف منهم مُشوهين، والآلاف منهم قتلى.

لاينبغي لنا أن نخشى غضب الطلاب الذين يفرضون على مؤسساتهم الألتزام بالمعايير الأخلاقية. بل ينبغي لنا أن نخشى المؤسسات الجوفاء أخلاقياً التي تفشل في تحمل المسؤولية السياسية في مواجهة الفظائع.

محمود درويش يغادر اسرائيل إلى القاهرة

«غيّرتُ مـوقعــي ولــم أغيّــر مــوقفــي!»

كانت شقة الكاتب السوري سعيد حورانية في موسكو مطلع السبعينات بمثابة صالون أدبي يجتمع فيه لفيف من الأدباء والمستعربين في نقاشات حول مواضيع شتي لا تنتهي حتى منتصف الليل. فبالإضافة إلى كونه محرراً للنسخة العربية من نشرة "أنباء موسكو"، كان حورانية شخصية تتسم بالمرح والديناميكية وسعة الإطلاع مما جعله محبوبا لدى الجميع.أواخر يناير من عام ١٩٧١، أقام سعيد أمسية خاصة حضرها مجموعة صغيرة من الأصدقاء لتوديع الشاعر الشاب محمود درويش الذي أنهى فترة دراسته في المدرسة الحزبية العليا (كان مبتعثا من قبل حزبه (راكاح) في دورة حزبية مدتها عام).

محمد ديتو

حسب المعلومات التي وثّقها الكاتب والباحث المصري سيد محمود في كتابه الشيق (المتن المجهول – محمود درويش في مصر – نصوص ووثائق تنشر للمرة الأولى – منشورات المتوسط 2020) نجد وصفاً موجزاً لما دار في تلك الأمسية: "بدا محمود في ذلك اليوم لطيفاً وحلو المعشر وكان يصغى بإهتمام إلى أحاديث الآخرين معه، لكنه كان في الوقت نفسه شارد الذهن، وغالبا ما كان يختلي مع عبدالملك خليل مراسل "الأهرام" بموسكو في المطبخ ويدور بينهما حديث خاص. لكنه أكدّ للحاضرين بأنه عائد إلى إسرائيل."

بعد تلك الأمسية بأربعة أيام ودعه أصدقائه في مطار موسكو. فوجئ الأصدقاء بإجهاش درويش بالبكاء على نحو غير متوقع وهو يودعهم. ما لم يعلموه هو أنه بمجرد وصوله إلى مطار نيقوسيا (ترانزيت)، غيّر وجهته الى القاهرة، التي وصلها مطلع فبراير 1971، بعد مرور سنين على رحلته من موسكو الى القاهرة، سيكشف درويش عن سبب بكائه: " في مطار موسكو فوجئ أصدقائي بأنني انفجر بالبكاء. لم يكن بكائي على اصدقاء أودعهم. لكن بكائي كان على الذين لم أكن عائدا إليهم... لم أكن عائدا إلى الوطن."

وصف درويش شعوره لحظة وصوله القاهرة: "دخلتُ القاهرة ليلاً، ومن فرط انتظاري لهذا الوصول فقدت الشعور بأي شئ .. لم أعرف أين أنا ... كان انتقال شديد، وقاطع، وقاسي .. بين ما كنت عليه، وما أنا فيه... كان أصعب قرار في حياتي ... في الليل فتحت النافذة لكي أتأكد من المكان الذي أنا فيه .. فرأيتُ نهراً عظيماً هو نهر النيل ... وكان النيل هو الذي قال لي في ذلك الليل أنني في القاهرة". في أول صباح له، تجوّل في الشوارع التي أصابته بالدهشة التامة: "في القاهرة رأيت مدينة بكاملها تتكلم العربية، ورأيت أسماء الشوارع باللغة العربية، فمسني ذلك مسّاً عاطفياً...كان هناك تأهب نفسي للإلتقاء بروحي العربية". سيكتب لاحقا "أحببت القاهرة كما أحبّ حيفا، ووجدت أن جمال القاهرة كان مشوبا بالحزن، كأنك تشعر أن في قلبها شيئاً مكسوراً."

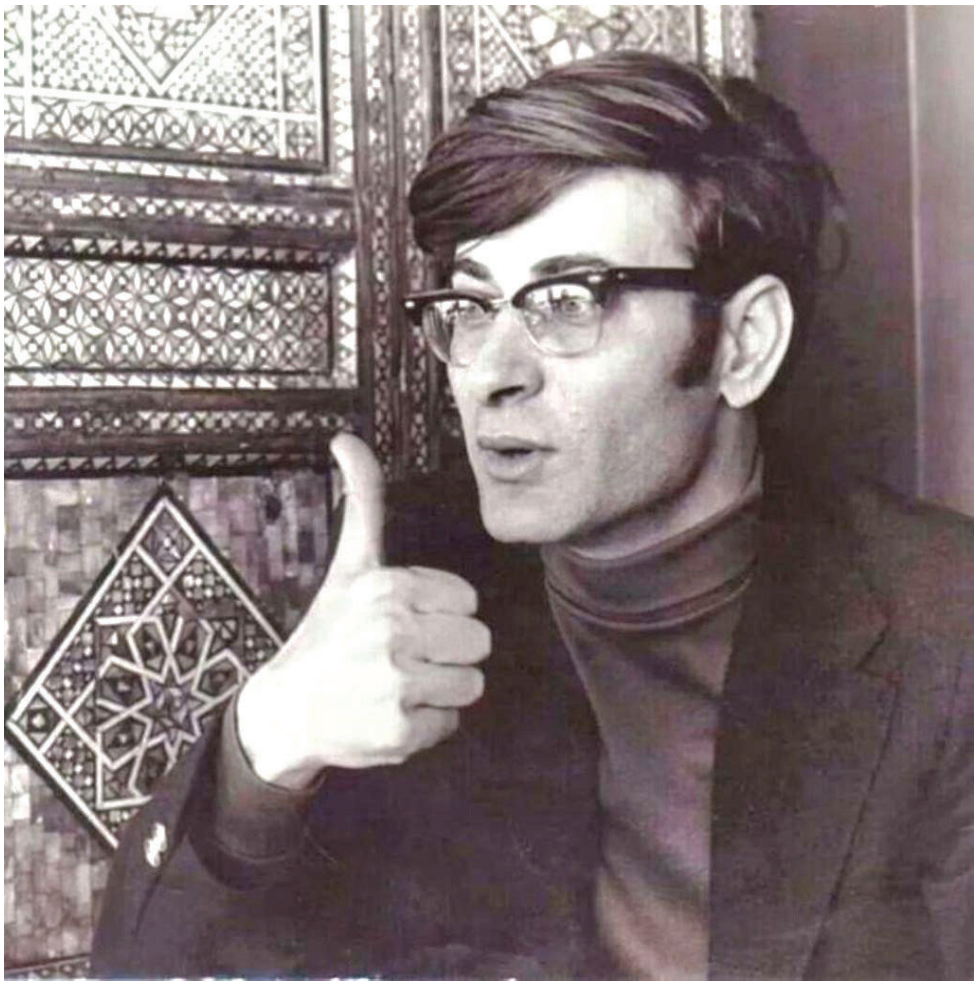

ما بين مغادرة درويش موسكو أواخر يناير ، وخبر الإعلان الرسمي لوصوله القاهرة مطلع فبراير، هناك فجوة زمنية بمقدار إسبوع ... أين إختفى فيها ؟ وفق ما ذكره سيد محمود في كتابه الآنف الذكر، أبقت السلطات المصرية خبر وصول درويش إلى القاهرة طي الكتمان لمدة إسبوع واحد، قبل الإعلان رسمياً عن وصوله في مؤتمر صحفي لاحقاً. خلال ذلك "الأسبوع السري" تمّ ترتيب جولة لمحمود درويش الى أسوان والأقصر ليقضي "فترة راحة يستجمع فيها قواه وأعصابه المرهقة". رافقه الإذاعي في "صوت العرب" عبدالوهاب قتاية الذي وصف لقائه بمحمود درويش: "تعانقنا بحرارة، كان نحيلاً جداً، ورقيقا كالطيف، حتى إنني أشفقت عليه وأنا أعانقه أن تتكسر عظامه بين ذراعي".

بعد إنقضاء الإسبوع ، جاء اليوم التاريخي في صباح الخميس 11 فبراير 1971 بمبنى الإذاعة والتفزيون المصري ليتم الإعلان رسميا عن وصول محمود درويش الى القاهرة. هناك صورة شهيرة تبيّن درويش متوسطاً وزير الإعلام المصري محمد فايق، ومدير إذاعة صوت العرب محمد عروق وخلفهم صورة للزعيم الراحل جمال عبدالناصر (مضى علي وفاته بضعة شهور). بدأ درويش

درويش وعلي يساره وزير الإعلام المصري محمد فايق وعلى يساره مدير إذاعة «صوت العرب» محمد عروق

بقراءة بيانه الشهير في المؤتمر الصحفي الذي أوضح فيه أسباب مغادرته إسرائيل واختياره للقاهرة. هناك ثلاثة مسائل تلفت الانتباه في ذلك البيان: أولا أنه إعتبر مسألة وجوده بالقاهرة «مسألة شخصية يتحمل وحده مسئولية اختيارها»، وأنه «سيبذل جهده للحيلولة دون تحويلها الى موضوع للمناقشة والأخذ والرد». درويش يشخصن القرار متعمدا، لإبعاد كل من حزبه، وأجهزة السلطات المصرية (الدولة العميقة) عن أي شبهة محتملة تشي بوجود أجندة سياسية مخطط لها مسبقاً. ثانياً أوضح بأنه أصبح «مشلول الحركة تماما ومشلول الحرية في التعبير ... وبأن شعرة معاوية بيني وبين القانون الإسرائيلي قد إنقطعت وأن طاقتي على الاحتيال والتجاوز قد نفذت». ولكنه لم يلجأ الى المنفى سعياً وراء حياة هادئة مستريحة (إسرائيل كانت تشجع فلسطينيي الداخل إلى الهجرة الى كندا آنذاك)، بل إختار القاهرة بالتحديد لموقعها النضالي الرائد، كما أشار إلى ذلك الكاتب رجاء النقاش لاحقاً. ثالثاً أعاد درويش طرح السؤال الذي طالما أرّقه منذ مهرجان صوفيا في بلغاريا قبل سنتين، ولكن هذه المرة في بيانه بالقاهرة: «من أنا؟ هل أنا مواطن إسرائيلي بمحض إختياري، أم مواطن عربي فلسطيني، وإذا كنتُ كذلك ففي أي صف أقف؟ « ويحسم أمره بالقول: «أصبح تناقض الإنتمائين أشد إلحاحاً وتعذيباً. لم يعد ممكناً أن أجاور بين هذين الانتمائين» .

بعد عقود طويلة سيحدد درويش في في نص بعنوان «الفرح ...عندما يخون» المأزق الوجداني الذي كان يواجهه بوضوح أكثر دقة، عبر تمييزه بين خيارين/ حالتين (أن تبقى في الداخل، أو تناضل من الخارج). الحالة الأولى شعارها «كل شيء يبدأ من الداخل، من المطالب الديموقراطية القائمة على الاعتراف بالأمر الواقع»، سيتبعها حسب قوله: «أن يتعمق إحساسك بأنك مواطن عربي في إسرائيل» وأن تواصل «العمل السياسي المتواضع الذي تمارسه، ضمن دائرة الممكن، وفي إطار القانون الإسرائيلي». بينما الحالة الثانية شعارها «كل شيء يبدأ من الخارج، بدون هزيمة عسكرية تلحق بإسرائيل، لا يمكن أن تحدث تغيرات جوهرية داخل المجتمع الإسرائيلي». في هذه الحالة التي يراها درويش كرد فعل على العنف الاسرائيلي «سيتعمق رفضك لهذا الانتماء (أن تكون مواطنا في اسرائيل) وتمارس انتماءاتك الحقيقية كما تختارها أنت». (محمود درويش – الأعمال النثرية الكاملة – المجلد الأول – ص 364). بذهابه إلى القاهرة حسم درويش خياره باتجاه الحالة الثانية.

كما حدث إبان مشاركته في مهرجان الشباب والطلبة في بلغاريا 1968، فإن ردود الأفعال على قرار مغادرته النهائية فلسطين المحتلة وانتقاله الى القاهرة شهدت إنقساماً حاداً آنذاك مابين مؤيد (مصري في غالبه)، ورافض (غسان كنفاني – اميل حبيبي – سميح القاسم وغيرهم). بتاريخ 12 فبراير 1971 نشرت جريدة الاتحاد الناطق الرسمي باسم الحزب الشيوعي الاسرائيلي خبر المؤتمر الصحفي لمحمود درويش تحت عنوان «غيّرت موقعي ولم أغيّر موقفي». لم يتضمن نص الخبر أي هجوم على درويش، بل نقل بأمانة حيثيات بيان درويش بالمؤتمر، كما افادت الصحيفة بأن «الهيئات المختصة بالحزب ستبحث في هذه القضية» ليصدر بعدها بأيام قرار فصل محمود درويش من عضوية الحزب. وبذلك أسدل الستار على مرحلة هامة في سيرة محمود درويش الفكرية والسياسية. ما يلفت النظر هو خلو انتهاء العلاقة بين الحزب ودرويش من أي نوعٍ من التشهير أو التجريح بينهما، بل إحتفظ الطرفان بعلاقة ود وإحترام لعقود طويلة قادمة (هل كان طلاقا بالتراضي ؟) .

من أكثر المواقف المعارضة حدة ما جاء في صحيفة «الحوادث» البيروتية بقلم ربيع مطر (رجاء النقاش يرجح أنه أحد الأسماء المستعارة لغسان كنفاني): «يا محمود يا أحلى ابن تفتح له الأمة العربية ذراعيها... نحن في مرحلة العودة والإصرار على البقاء، انتهت والى الأبد مرحلة الهجرة ...فليتك تعود إلى إسرائيل ..إلى السجن، ليتك تعود مهما كان الثمن الذي ستدفعه من حريتك وحتى من فنك وشعرك..عد فقد اخترت وليس لك أن تتراجع...في مثل وظيفتك هذه، الاستقالة ممنوعة.» في حقيقة الأمر نعلم بأن محمود درويش لم يستقل من نضاله، بل سلك خياراً فردياً (الخروج) بالتعارض مع مبدأ عام (البقاء). هذا التنازع الظاهري بين الاثنين ربما سيكتسب معنى مختلفاً فيما لو حاولنا فهمه ضمن منظور الوسيلة والغاية؛ تخرج لماذا؟ تبقى لماذا؟

بعد مؤتمره الصحفي بمبنى الإذاعة والتفزيون المصري، إلتحق درويش بالعمل في إذاعة صوت العرب، إلا أن موجات التشهير به والتنديد بقراره الخروج من إسرائيل في صحافة العالم العربي لم تتوقف بل ازدات حدة (لا نعلم ماذا سيكون مصيره لو توافرت آنذاك وسائل التواصل الاجتماعي). في البداية قرر درويش إلتزام الصمت، إلا أنه قرر بعد شهرين أن يفجر غضبه على منتقديه في نص سياسي نثري حاد كالسكين. ففي مقال بعنوان «هل تسمحون لي بالزواج»، يتسائل درويش ساخراً: «إن قصة حياة شاعر ستتحول طيلة شهرين كاملين الى أحد القضايا الرئيسية في حياة العرب. حدث ذلك في الجاهلية! فهل يراد لنا أن نعود إلى الجاهلية؟ «. ثم يواصل قوله بأنه «ليس راقصة بطن» قادرة على انتزاع حب الناس من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين، وليس أسطورة لأن من شأن ذلك أن يجرد قضيته من جوهرها ويُحوّلها إلى بطولة فردية (وهو ما يرفضه)، ثم يقذف بحجته في وجه المزايدين عليه «لماذا حين تحاكموني تنسون أنكم تدعون إلى تحرير الوطن المحتل وأنتم في الخارج؟ .. ومن يطالبني بالعودة إلى إسرائيل حتى إلى السجن، لماذا لا يقوم بهذه المهمة؟»، وأخيراً ختم مقالته بتساؤل: «هل تسمحون لي بالزواج أم أن الزواج يتنافى مع المهام الثورية وتحرير فلسطين؟».

أيام حياة الماعز

الحياة من وجهة نظر المكفول.. أين الكفيل؟

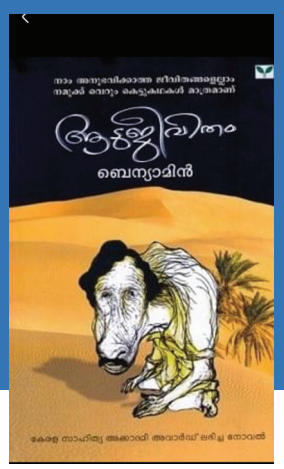

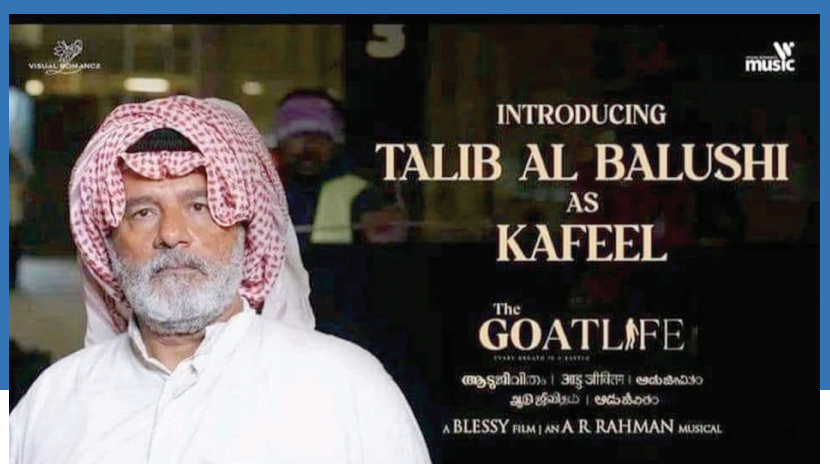

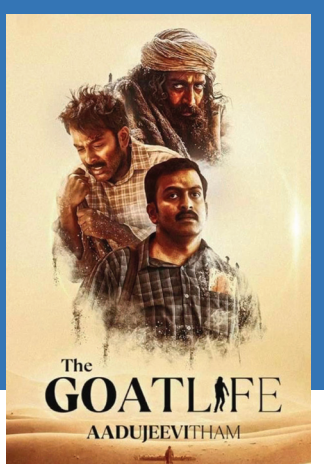

يتبادل شابان هنديان الابتسام، حين نطق أحدهما «الكفيل»؛ تباهياً بمعرفته بأول كلمة عربية في المطار عند وصولهما، دون إدراك منهما أن هذا المعنى سيتحول إلى أسوأ كابوس في حياة الشابين اللذين وقعا في فخ غير متوقع على الإطلاق، ولتطبق الجملة التي ظهرت في التتر النهائي للفيلم «كل الحياة التي لم نختبرها عبارة عن قصص بالنسبة لنا».

زهراء المنصور

يتبادل شابان هنديان الابتسام، حين نطق أحدهما «الكفيل»؛ تباهياً بمعرفته بأول كلمة عربية في المطار عند وصولهما، دون إدراك منهما أن هذا المعنى سيتحول إلى أسوأ كابوس في حياة الشابين اللذين وقعا في فخ غير متوقع على الإطلاق، ولتطبق الجملة التي ظهرت في التتر النهائي للفيلم «كل الحياة التي لم نختبرها عبارة عن قصص بالنسبة لنا».

ومفردة «الكفيل» –نشأت– أصلاً بناء على الوجود البريطاني في الخليج، وكانت البحرين هي البادئة في تبلور هذا النظام على دول المنطقة؛ حيث أتى تزامناً مع تعيين أول وكيل سياسي بريطاني في البحرين في العام 1904م، وتدخلهم في إدارة الأمور الداخلية للبلاد، وتوسعة نفوذهم، ومنها بالتنازل والسيادة على كل الأجانب في البلاد. وبناء عليه، تم تقسيم القاطنين في البحرين إما إلى أجانب تحت حكم وسيادة البريطانيين، وإما إلى رعايا محليين تحت سيادة الحاكم المحلي. وفيما بعد، جاء نظام الكفيل الذي تبلور تدريجياً مع الوقت؛ بحيث يتحمل فيها الكفيل المسئولية القانونية للوافد ضمن المساحة الجغرافية للدولة، ولا يحق للمكفول قانوناً أن يدخل ويعمل فيه إلا من خلال كفيله. ورغم تغير هذا القانون جزئياً، وجعل جزء منه مرناً يحق فيه للأول تغيير مكان عمله، لكن يبقى أن جوهر نظام الكفالة يتمثل في تفويض الدولة السلطة على الوافد لدخول البلد والعمل فيها إلى المواطن صاحب العمل. (1)

ولا يروق هذا الشكل من التعامل للكثيرين ممن يرون فيه تحديداً وإلزاماً، في حين أنه غير مطبق في بقية الدول العربية أو الأجنبية، لكن لكل دولة شروطها وقوانينها التي تحترم وتطبق على الجميع، ووجود الشخص في بلد ما هو موافقة ضمنية على اتباع نظامه. وقد استخدم هذا المفهوم مؤخراً عن رواية الكاتب الهندي Benyamin، والمستوحاة من قصة حقيقية حدثت في أوائل تسعينات القرن الماضي؛ إذ كتب روايته Aadujeevitham التي أحدثت صدى كبيراً في الأوساط التي تقرأ اللغة المالايالامية المكتوبة بها، وهذا ما دفع صناع فيلم The goat life إلى الحصول على الحق في تنفيذ الفكرة سينمائياً، وقد كان؛ إذ استغرق الإعداد لهذا الفيلم سنوات من التحضير والتنفيذ في مواقع مختلفة، لمحاكاة الحياة التي عاشها قسراً بطل الحكاية «محمد نجيب» القادم من كيرلا في الهند برفقة «حكيم»، وفي مطار الوصول لا يأتي الكفيل، ويقوم آخر بالتقاطهما مستغلاً عائق اللغة والبراءة الظاهرة على محيّاهما، ليبدأ فصل الشقاء.

من الطبيعي جداً أن يكره المشاهدُ شخصيةَ الكفيل الذي قام بها الفنان العماني القدير طالب البلوشي، وأجادها لدرجة الاستفزاز؛ فهو لم ينادِ نجيب باسمه طوال الثلاث سنوات والنص التي قضاها معه، بل كانت الألفاظ البذيئة هي المفضلة عنده، حتى في الحديث العادي، وفي المرات القليلة التي لم يشتمه فيها كان يناديه بـ«الهندي» المقرونة بالنكرة، وليس بناء على جنسيته، حتى أنه لم يحاول أن يعرف اسمه، ولو من باب الفضول! مزّق جواز سفره وأوراقه الشخصية أمامه حتى يقطع الأمل تماماً لدى نجيب في أن يتجرأ على التفكير بالهرب أو الخروج. وشخصية كهذه يمكن توقع طريقة تعاملها التي تصل للسُّخرة في استعباد الضعيف وإذلاله. وقيل إن من يتحكم بالخبز، يحكم. الكفيل هنا حققها بالفعل في محاولاته لـ«تدجين» نجيب حين ناداه مرات عدة، والأخير يجلس بحقيبته خارج الخيمة، معلناً اعتراضه على الوضع، أو لإيجاد وسيلة للتفاهم على الأقل، وكل ذلك لم يجد نفعاً. فقد فهم الكفيل آلية التفاهم المناسبة حين لوح له بالخبز الحاف –وهو الذي أظهره العمل السينمائي أنه يأكل بشكل معتاد وجبة البرياني بلحم الضأن في منزله بكيرلا– وسرعان ما أتى له بالفعل بعد أن أنهكه الجوع والعطش معاً، لكن هذا كان بداية

الاستسلام التدريجي المرغم، الذي حول شكل الشاب الهندي الوسيم إلى كائن آخر، مقهور، ذي مواصفات شكلية مغايرة عن تلك التي قدم بها. ويبين أحد بوسترات الفيلم، المرفق بالمادة، هذا الاختلاف الذي قد لا يلاحظ تغييراته الدقيقة في تفاصيل اللون، والشعر، والأظافر، والهيئة بشكل عام.

جرت الأحداث الحقيقية بين أبريل 1992م، وحتى أغسطس 1995م، كما يذكر أكثر من مصدر، ويبدو من كل تفاصيل الفيلم أنها أيضاً نفس الفترة المذكورة. وهنا قام المخرج بتحديد الزمان والمكان حتى لا يكون هناك أي منفذ للتواصل؛ عبر أشخاص، أو عبر مكالمة من هاتف متنقل، فتنتهي كل المعاناة من البداية!

طُرُق دفاع المخ عن الوحدة والصدمة والإنكار تتخذ أساليب متعددة، قد يختلف فيها البشر، وقد يتشابهون. كما يدفع «نجيب» المشاهدَ لتذكر فيلمين بارزين؛ أحدهما (المنبوذ) Cast away الذي جسده ببراعة توم هانكس، الأول في مسألة الوحدة القسرية التي فرضت على البطل جراء وجوده على جزيرة غير مأهولة، فيضطر للتأقلم بما هو متاح، حتى أنه يتأخذ من كرة طائرة أُنساً له في وحدته، ويطلق عليه/ها «ويلسون»، ويتعلق بهذه العلاقة حتى يتوحد المشاهد معه في ألمه حين فقد الكرة! وهذا كان نجيب مع البهائم التي رعاها باهتمام وحب طول فترة إقامته، حتى عز عليه مفارقتها حين قرر الفرار مع حكيم، الهندي الآخر، وخضيري، الأفريقي الأسود الذي ظهر واختفى مثل ملاك حارس قام بمهمته في تفاصيل توفير «الحياة» لحياتهما. والآخر فيلم life of Pi)حياة باي)، والثاني التي دفعته ظروف تحطم السفينة في أن يكون ناجياً وحيداً من الغرق على سفينة كان بها عائلته وحيوانات، لم يتبقَّ من كل هؤلاء إلا نمر شرس قاسمه القارب الصغير، ورحلة خوفه، حتى افترقا. والظروف القاسية مختبر الإيمان. نجيب وباي فقدا الاتصال بالله –أو أوشكا على ذلك– بالإلحاح في الدعاء دون تغيير، ليأتي السؤال: لمَ أدعوه؟ لو كان موجوداً لاستجاب! لكن العناية الإلهية رسَمت أقداراً جديدة حين أظلمت كل الطرق تماماً.

وإلى هنا تنتهي القصة العاطفية –كما أطلق عليها مخرج العمل –Blessy التي تجبر المشاهد على التعاطف التام والشديد مع نجيب ورفيقيه، وغيرهم ممن يغادرون أوطانهم سعياً للرزق الحلال في مناكب الأرض، وتندد بأفعال الكفيل الذي لم تظهر عليه صفة إنسانية واحدة، جسدها البلوشي بمنتهى البراعة، حتى في حدة نظراته التي نفرت المشاهدين، وساهمت في تعميق المعنى السلبي لصفته. ولا يمكن إنكار حجم التعاطف للبطل. لكن حين نعود للتفاصيل، نجد أن نجيب لجأ إلى معارف وأقارب من أجل السفر والعمل في المنطقة هنا، وليس إلى جهة معتمدة، لرحلة دفع فيها قيمة بيته المرهون ثمناً لقدومه، وهذا أول مأخذ يتحمله شخصياً، ولا لوم عليه للمجازفة؛ حيث دفعه الفقر وقلة الحيلة لخوضها! لكن ما أكثر النصابين، وكذلك الحالمين بالرغد والحياة السهلة: غرفة مكيفة، وطعام جيد، ورزق وفير. الأمر الآخر هو الجهل بالأبجديات للبلد المسافر إليها. فقليل من المعرفة لا تضر، رغم أن هذا لن يمنع أن يظهر شخص كالذي خطفه هو ورفيقه، واستعبدهما في الصحراء. هل كان الأمر محض صدفة، أم أنه معتاد على هذا «الاصطياد»، والراعي الهندي العجوز لديه هو أحد ضحاياه بالفعل؟

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة: لمَ تم ربط موضوع الفيلم، في كل ما تناوله، عبر رأي انطَباعي أو نقدي عن الكفيل غير الموجود فعلياً داخل العمل؟ هل نكأت ملامسة موضوع الكفيل، الحساسة جداً، والتي نشأت في الأساس من أجل الضبط عبر تفويض المسئولية، جروحاً لا تبرأ حتى مع التعديلات التي طرأت على هذا القانون في السنوات الأخيرة؟ يمكن تفهُّم أن يشهد هذا الموضوع، عبر تاريخه، حالات مختلفة بين ربط الموضوع بعبودية حديثة، ونظام سُخرة تهيئه القوانين الموضوعة، وفي الحالات التي يظهرها الإعلام من خلال الشكاوى، أو قصص تعذيب واهانة، أو حبس وتجويع، كثيرة، أو حين يُستغَل العامل على العمل مجبَراً أكثر من نصف اليوم حقيقة دون إجازة أسبوعية، ولا حتى شهرية، أو في حالات عاملات المنزل اللاتي يعملن في بعض البيوت طول الوقت، متى ما استدعت الحاجة، وبالتأكيد هناك حالات استغلال عديمة الإنسانية، أصغرها دفع مقابل مادي للكفيل من أجل البقاء داخل البلد وجمع المال بأي طريقة تمكن المكفول من الوصول إلى هدفه، أياً كانت الطريقة للطرفين المستفيدين على حساب البلد! لكن الفارق عظيم عند المقارنة بالحالات المتضررة، المعلنة منها وغير المعلنة، في حيث أن الأعداد التي تعمل في الخليج تقدر بتسعة ملايين هندي على سبيل المثال، بخلاف الجنسيات الأخرى، عدا أن جزءاً كبيراً منهم مستقر مع عائلته في المنطقة، دون نية للعودة.

وعودة لقصة الفيلم، التي استخدمها المخرج لعرض حادثة «نجيب محمد»، المبنية على أحداث حقيقة في الرواية المذكورة، وهذا حقه الخالص في خلق تصوره الفني؛ في تحويل السرد إلى صورة مرئية، وتقسيمه للقطات ومشاهد، لكل لقطة حجمها/ زاوية الكاميرا/ التكوين/ الألوان/ حركة الكاميرا/ حركة الممثل/ في توصيل المعنى الدرامي كما في تصوره هو، بوصفه سيد العمل. والحقيقة أن الفيلم لا يخلو أبداً من الجماليات الفنية، والتشكيلات البصرية فيه رائعة، كما تم استثمار جمال البياض والفراغ والسكون، وإظهار اللوحات الربانية في الصحراء. وطالما أن العمل قد ظهر للنور، فمن حق أي مشاهد أن يراه بتصوره أيضاً. وقد برع العمل في الاشتغال على تقنيات عالية المستوى في الدمج بين فترات نجيب، محور القصة المشاهدة، وما قبلها، بشكل يستدعيها لصالح حياته في بلده؛ هذا النجيب المخطوف، جار النهر، صديق الماء، الذي –أراه شخصياً– استخدمه العمل ثيمة فارقة في حياة البطل، قبل وبعد، وكيف تحول إلى النقيض؛ حيث خشونة الصحراء وعطشها في اللقطة الرائعة فنياً، التي دمج فيها وقوعه معنفاً من قبل الكفيل قرب الماء المنهمر من الخزان الصغير، محدود الاستعمال، إلى استمتاعه الحر بالسباحة في النهر المقابل لبيته. كيف شرب من حوض البهائم مضطراً، وكيف استخدم المُخرج الماء في إغداق نفسه به حين قرر الهروب، وكأنَّه معادل موضوعي للعودة إلى الحياة. وعلى هذا النحو بين النقائض التي بيّنت أن الكفيل لا علاقة له بالماء والنظافة؛ لأن رائحته الكريهة كانت أول شيء لفت انتباه الهنديين. وعلى المستوى الآخر، نجد تقنية تشكيل الكفيل، بالإضافة إلى طباعه التي لا تطاق، كونه فظاً وعنيفاً ومسيطراً وبخيلاً بطبيعة الحال، بنفس تقنية شخصية «البشمهندس» في فيلم دعاء الكروان التي قام بها الممثل المصري الراحل أحمد مظهر؛ حيث لم يعرف لهما اسم غير الصفة التي تدل عليهما، وكلاهما استغلا الآخرين بطريقتيهما.

هذه الإجادة التي وضعها الفنان طالب البلوشي في أدائه، خلَّفت اتهامات شخصية لا تُحصى بالنسبة له، ولا علاقة لها بأدائه الفني، وصلت إلى التأجيج بين الدول، ومحاولة استثمار الفيلم في تصدير هذه الصورة السلبية عن الخاطف/ الكفيل السعودي، والمعني به ضمناً الخليجي الذي يخضع بلده لقانون الكفيل، في الخصوص، وأي عربي مسلم في العموم؛ إذ وضع الفيلم طرفي الفيلم: نجيب والكفيل –المسلمَيْن– في المقارنة غير المباشرة حين يتضمن حوار الثاني ذكر الله قياماً وقعوداً دون إقرانها بفعل خير واحد، جعل من هذا الذكر عادة لفظية معتادة على لسانه، في حين أن أفعال المسلم الهندي الخيرة، المطلقة، حتى في وقت هروبه الثمين، لم ينسَ إطعام رعاياه من الإبل والخرفان قبل أن يترك المكان.

أما العبارة التي أوردها الفيلم في بدايته «هذا الفيلم لا يحمل إساءة لأي دولة أو شعب أو مجتمع أو عرق» فهي عبارة مجوفة، تكتب لبراءة الذمة. لكن ماذا عن تحديد المكان والدولة، بدلاً من «الشرق الأوسط»، التي كانت تدور الحوارات حوله قبل قدوم نجيب إلى السعودية؟ ما معنى أن تقديم كل المواطنين الذين ظهروا في الفيلم، من ضابط الجوازات بالمطار، وضابط آخر في سجن الترحيلات، ورفقاء الكفيل، والسائقين العابرين الذين رفضوا اصطحاب نجيب، وكل من رآه في الشارع بعد وصوله إلى المدينة، دون إظهار التعاطف الإنساني بالمستوى الطبيعي؟ وفي حين أنه قد يحدث في الحياة هكذا؛ لكن لا يمكن أن يكون الوضع عفوياً في العمل الفني، كما هي الزجاجة المميزة للمياه الغازية التي ظهرت عند نبع الماء الوحيد في الصحراء الكبيرة! يا للصدف! ثم يحصل هذا بالتزامن مع «إقحام» صوت جميل من الفلكلور الفلسطيني يردد: «بدوية طلت من المرج لوحدها.. البدر أخوها والهلال ابن عمها»، والذي يبدو خارج السياق تماماً؛ حيث لا علاقة له بالحدث، أو بالأشخاص، ولا حتى المكان. وحتى العقبان التي انقضت على جثة الراعي الهندي السابق؛ هل يتواجد هذا النوع منها في الجزيرة العربية؟ وكيف تنقضُّ على جثة، وهي المعروفة بأنها لا تأكل إلا صيدها الحي؟ وبالتالي هذا يدعو لاحتمالين: إما خطأ غير مقصود في اختيار الطير الجارح –رغم إتقانه فنياً–، وإما قصدية أخرى متعلقة برمي الكفيل للعجوز لعدم الحاجة إليه. ورغم أنها قاسية حتى في التصور، لكن من يتمعن في التفاصيل المؤلمة، لن يستبعد المزيد منها.

في نهاية الأمر، سيبدو «أيام حياة الماعز» فيلماً متقن الصنع من الناحية الجمالية المعنية بالتفاصيل الكثيرة والمؤثرة، وعرضاً إنسانياً لحالة تصنف بأنها فردية، حتى لو كانت هناك المئات منها، في مقابل الآلاف والملايين ممن لم يتعرضوا لما تعرض له نجيب. لكن الأمر ليس بريئاً على الإطلاق.

الهوامش

(1) عمر هشام الشهابي، تصدير الثروة واغتراب الإنسان: تاريخ الخلل الإنتاجي في دول الخليج العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، انظر ص355–386.

السوريالية في مجموعة (النافذة كانت مشرَّعة) للقاص جعفر الديري (٢ – ٢)

جعفر الديري

لمَاذا يستخدم الكاتب العربي الأفق السوريالي بانثيالاته العفوية البعيدة عن رقابة العقل والمنطق والمتمركزة في بؤرة اللاوعي؟ هل من أجل صيرورة النص مساحة حلمية عجائبية تتداخل فيها الأزمنة والأمكنة والأخيلة المجنحة لتعكس موقف الكاتب إزاء الحياة والكون؟ أم ليكون النص برمّته واحة مثقلة بالترميز حدَّ التلغيز والغموض حين تنغلق منافذ النص المسكوت عنه؟ كلُّ هذه الأسئلة وسواها كثير قفز إلى ذهني وأنا أتأمَّل المجموعة القصصية (النافذة كانت مشرَّعة) للقاص جعفر الديري الصَادرة عن دار الوطن البحرينية عام ٢٠١٣ التي غلف قصصها الـ ٤٢ الفضاء السوريالي بكلِّ فيوضَاته المدهشة المبتكرة.

وجدان الصايغ *

رائحة البارود

تكوّن قصة (رائحة البارود، ص 19) مرايا سوريالية تعكس ما يحصل على مسرح النص ، تأمَّل التالي ولاحظ كيف استطاع وعي الشخصية الرئيسية أن يفتح صورة الحدث التراجيدي عبر دايولوج مع الأنثى المكتنزة بالرمز:

– لو انك لمست بيديك جماجم الموتى، لما كان مكانك سوى السحاب!.

– لقد شاهدت من الأهوال ما يروِّع أمة بأكملها.

يفضي هذا الحوار إلى سلسلة أحداث محمومة (شاهدت من الأهوال) وشخصيات وقعت صريعة الحدث التراجيدي (جماجم الموتى) ويفتح سيلاً من التأويلات التي يكثفها المشهد التالي : "تطلعت ناحية اليمين رأيت الجنود وقد شدُّوا بالحبال مثل قطيع غنم ، وجوههم مسودَّة وأجسامهم ضعيفة حتى أيديهم لا طاقة لهم على رفعها. لقد ترك الحارس الحبل وراح يدخِّن يقينا منه بضعفهم، أمَّا أنا فكنت هنا على هذا الجسر، انتظرهم بفارغ الصبر، مؤملا رؤيتهم في حال أفضل، صدمت حتى شعرت بالغثيان، كانت سحناتهم أشبه بلون الضباب بحركة عقرب تدوس على رأسه بنهر مليء بالأوساخ وسمكة متعفنة في جوف سمكة قرش، احتضنتهم واحدا واحدا لكن أحدا منهم لم يتعرف علي، رغم اني ناديتهم باسمائهم".

يضع المتن أمام التلقي عدة عتبات سوريالية تقودك بدقة نحو النص المسكوت عنه، فتارة تبدو العتبة مرئية ضاجة بالحياة وتناقضاتها فثمة الحارس المتيقن من انتصاره "ترك حبله وراح يدخن" في مقابل الأنوات المهزومة المنكسرة المتيقنة من هزيمتها "يقينا منه بضعفهم + كانت سحناتهم أشبه بلون الضباب" بل ان صرخة الأنا الساردة تنجح في تكريس الوحشة والانكسار "احتضنتهم واحدا واحدا لكن أحدا منهم لم يتعرف علي، رغم اني ناديتهم بأسمائهم" إلاَّ أن الصورة البصرية المركَّبة تكثِّف سوريالية الأفق "بحركة عقرب تدوس على رأسه بنهر مليء بالأوساخ وسمكة متعفنة في جوف سمكة قرش" ويمعن المتخيل القصصي في صياغة جورنيكا معاصرة حين تطلق الأنا الساردة صرخاتها المبلَّلة بالدمع ، تأمل الآتي: "كيف لك أن تعرفيني على حقيقتي، أنا الذي شهدت ما لم تشهديه؟ كيف يكون شعورك وأنت تحملين ذراع صديقك من على الأرض ؟ كيف لعينيك أن تتحمَّلا رؤية الدم متفجِّرا من عينيه ؟ كيف لك أن تميزي الموسيقى المنبعثة من جرح غائر في البطن ؟ كيف لك أن تتخيلي نفسك محصورة بين عمودين ! وكيف لك أن تتحملي الجلوس مع رجل ممتلىء بالمشاهد، حتى تكاد تخرج من فتحات وجهه. تقرئين كتابك وأنت تسرحين شعرك ، تركضين على هذا الجسر وتمرحين، تدَّعين أنك ذو علاقة طويلة معه منذ كنت في السابعة ، وأنت الآن في السابعة والعشرين لكنك لا تعلمين ماذا يشكل هذا الجسر؟!".

من الواضح أنَّ المتخيَّل القصصي استبدل تدرجات السَّواد في غرنيكا بيكاسو بالتدرُّجات الواضحة للحمرة القانية وعبر العتبات الدلالية

القائمة على شراسة الصورة البصرية "وأنت تحملين ذراع صديقك من على الأرض + رؤية الدم متفجِّرا من عينيه + الموسيقى المنبعثة من جرح غائر في البطن + تتخيَّلي نفسك محصورة بين عمودين".

ويكثف المتخيل القصَصي الأفق السوريالي حين يستدعي (الأنثى/ العرافة) التي تكرِّس عجائبية الأحداث، إذ يرد : "وقفنا بانتظار الباص، قالت ساخرة: لن تعودوا إلى بيوتكم !" وكأنَّ نفي المستقبل (لن) يحرِّك قاطرات النص ليس إلى المستقبل بل إلى الحدث المنصرم لتكون تلك الـ(لن) مفتاحا لبدء القصة لا لخاتمتها. تأمل المشهد القصصي التالي :"أسبوعا لا غير ، لكنه كان كافيا لحرقنا ، يحيى كان الوحيد الذي سمع كلامها ، فترجل من الباص ، سخرنا منه ومن جبنه ، تندَّرنا عليه ، جعلناه أضحوكة ، لكنني عدت بكف واحدة وعين لا ترى ونصف لسان" من الواضح أن مرايا النص تكثف ملامح الأنا الساردة "عدت بكف واحدة وعين لا ترى ونصف لسان" المرتكزة إلى تنبؤ العرافة "قالت ساخرة لن تعودوا الى بيوتكم" إلا أنَّ المتخيل القصصي منح الذات الناجية اسما دلاليا (يحيى) لتتكشف الطبيعة الترميزية للباص (المكان الملغوم بالموت) إذ منحت النبوءة (يحيى) طوق نجاة ، تأمل الآتي "أما هو فظل في أبهى صورة . ازداد وسامة وجمالا ، وانجب ابنتين فيما بقيت أنا لا أحد معي ولا شيء".

مشولع

وتصوغ قصة (مشولع، ص 99) أفقا سوريااليا يماهي بين الزمان والمكان وبين الوعي واللاوعي، تأمَّل مثلا استهلالة القصة التي ترد من خلال وعي الراوي: «لماذا تعلو الغيمة ثم تهبط؟ لماذا تهبط ثم تعلو؟ لماذا ترسل ضوءًا ثم تختفي ؟! سأل رفيقه المستلقي على تراب الصخير الندي تحت ضوء القمر وسط نسيم مسكر فزفر ضجراً من أسئلته! ليس مجنونا ولا صاحب كرامات، لكنه يحب الموسيقى».

من الواضح أن الراوي يدخل طرفاً مهمًّا في المشهد القصصي إلا أنه راو فقد قدرته على التأويل أو التنبؤ بما سيحصل أو استبطان مصائر الشخصيات المتحركة على مسرح النص، فالراوي يحمل كاميرا السَّرد ليسلط الضوء على شخصيتين: الأولى صامتة تماما «المستلقية على تراب الصخير الندي تحت ضوء القمر وسط نسيم مسكر» مكتفية بتأمل ما يجري دون أن تنبس ببنت شفة، إلا أن كاميرا الراوي تتابع الشخصية الأخرى التي تراقب ما يحصل بفيض من التساؤلات الحائرة بحثا عن الحقيقة في جو مربك وملتبس أضاءها الحوار الخارجي «لماذا تعلو الغيمة ثم تهبط ؟ لماذا تهبط ثم تعلو؟ لماذا ترسل ضوءا ثم تختفي؟!»، أضف إلى ذلك أن الراوي يقدم تبريراً «ليس مجنونا ولا صاحب كرامات، لكنه يحب الموسيقى» إلا أن الصورة الشعرية السمعية البصرية المتمحورة حول جهاز الايفون في المشهد التالي: «ضغط على الآيفون ، فانساب الصوت سماويا ، لم يعجبه مستواه رفعه حتى ضج الفضاء به أحسَّ وكأنَّ النجوم ترقص معه...» كثَّف حضورها المباغت الأفق السوريالي الذي يجعل من (رقص النجوم) عتبة تستلهم حضور زوربا المستلّ من الذاكرة السينمائية الموسيقية ، تأمل المشهد التالي:

– "يا زوربا الطيب ليتك تعلِّمني الرقص؟

وقف أمامه وسأله السؤال نفسه ...

– لماذا تعلو الغيمة ثم تهبط ؟ لماذا تهبط ثم تعلو ؟ لماذا ترسل ضوءًا ثم تختفي؟!

– كنت أسال للتو رفيقي قبل أن تشرفني بحضورك؟

رماه برائحة نفاذة أطارت حاجبيه ، سقطا إلى الأرض، نزل وركبهما من جديد، هو شاب أجرد لا شعر في جسمه من رأسه حتى أخمص قدميه...

– نكاية بك سأرقص ..

ظلَّ يطالعه بعينه اللتين تشبهان نافورتين في بركة واسعة، ثم أخذ هو الآخر بالرقص".

من الواضح أن المتن يعكس ملامح الأنا الساردة "هو شاب أجرد لا شعر في جسمه من رأسه حتى أخمص قدميه..." وهو تحوُّل يبرِّره زوربا نفسه إذ يحاور الشخصية المتسائلة:

– أتعلم أني كنت غليظا مثلك!.

– وكيف تخلصت من وزنك؟

أجابه بصوت يشبه صوت المتنبي في حضرة خولة أخت سيف الدولة...

– إنه الحب يا فتى.

أطلق ضحكة ضجت لها الأرض تحته، حتى تشقَّقت وخرج منها غيلان ثلاثة أشبه بالنمور...

– اركضوا وراء هذا الأفَّاق ... اركضوا

– يا سلام عليك يا أخي ... ألا تقبل مزحة أبدا.

لكنه ظل يعوي ... تحوّل إلى نسر ثم إلى ورقة ثم إلى فهد ... ثم إلى قطة ، ثم إلى فأر ، انتظر الفرصة وابتلعه".

من اللافت أنَّ كاميرا الراوي عكست تحوُّلات زوربا الذي سلبه السياق القصصي ملامحه المألوفة ليمنحه ملامح جديدة عجائبية تتجلَّى في "ظلَّ يعوي ... إلى نسر ثم إلى ورقة ثم الى فهد ... ثم إلى قطة ، ثم إلى فأر" وقد وقفت عبارة (انتظر الفرصة وابتلعه) لتشاكس أفق التلقي الذي بقي عاجزا عن تفكيك شفرات النص المسكوت عنه إلا أنَّ المتن يعود إلى الشخصية الصموت لاستنطاقها ، تأمل المشهد التالي:

– أمر مدهش أليس كذلك؟

سأل رفيقه المستلقي على تراب الصخير الندي.

– ماذا تقول ؟

– لا شيء ...عليك اللعنة من ابن آوى لا أخلاق له.

– لكنك وعدتني أن تذهب إلى خيمتها.

تململ في جلسته .. بكى.

– وعدتني وها أنت تحنث بوعدك.

صَاح غاضبا:

– ماذا يعجبك فيها؟

– الآن بعد أن حلَّقت روحي تسألني هذا السؤال ؟

ضرب كفا بكف وراح يقفز كالقرد...

– أكلّ هذا من اجل امرأة ؟؟

– اللعنة عليك ... أنت تعلم أنِّي أحبها حقا.

– وما هو الحب؟

من اللافت أن الحب يشكِّل البؤرة التي تعصف بالمتن فيتصاعد دلاليا باتجاه الأفق السوريالي الذي يكثِّف الغموض الملغز العصي على التأويل، وهو غموض يستبطن الشخصيات التي بقيت مطلقة وبدون أسماء أو ملامح واضحة ، فالشخصية المستلقية على التراب استبطنت بشاعة الملامح الداخلية للشخصية المتحدِّثة "عليك اللعنة من ابن آوى لا أخلاق له + لقد وعدتني وها أنت تحنث بوعدك"، كما كرِّس الراوي العليم بشاعة الملامح الخارجية لها "ضرب كفا بكف وراح يقفز كالقرد".

ويستدعي المتخيل السوريالي (الكلب) بوصفه أداة بديلة عن الفرس وجماليتها الراسخة في الذاكرة الصحراوية العربية، هو استبدال يدخل القارئ عنوة في تقصِّي تفاصيل تلك الرحلة التي ستكون على ظهر كلب وعبر تبادل واعي بين الشخصيتين، أضف إليهما الراوي الذي كان يكمل ما غاب عن الحوار الخارجي:

«أقبل من بعيد كلب ينبح ، خاف حتى درجة الغليان...

– لقد أحضرته معك؟

ضحك لقوله ثم أمسك به ورماه على ظهر الكلب...

– إلى أين تمضي بي يا قبيح ؟

ردَّد ضحكته نفسها منذ أعصر سبعة..

– إلى حيث الحب الذي تنتمي!

حاول أن يرمي نفسه من على ظهر الكلب لكنه كان موثقا. بكى.. أقبلت فينوس، ما هذا الجسد وما هذا العبير»؟

من اللافت أنَ المتن يكثِّف كابوسية سوريالية لم تنجح العتبة المضيئة (فينوس) المكتنزة بالجمال في أن تزيح العتمة عن الأفق القصصي الضاج بالسخرية المريرة من ضياع الحب في خضم عارم بالخسارات والفقدانات ، بل ان إغلاق القصة على الحوار الخارجي الذي يستدعي استهلالة القصة، يكثف التحاور الدلالي بين الاستهلالة والخاتمة لخلق قلادة دلالية متخمة بالأسئلة الحائرة الباحثة عن الإجابة ، تأمل:

– لماذا تعلو الغيمة ثم تهبط ؟ لماذا تهبط ثم تعلو؟ لماذا ترسل ضوءًا ثم تختفي؟

– أنت مجنون ولا ريب.

خلاصة القول، فإن القاص جعفر الديري في مجموعته القصصية (النافذة كانت مشرَّعة) أشرع نافذة القصة البحرينية على أفق مغاير استعاد من خلاله غرائبية الأفق السوريالي وعجائبية مناخاته التي توغَّلت بمهارة لعناصر القصة فمنحتها بصمة مغايرة ونقشا في الذاكرة.

* قسم دراسات الشرق الأوسط
– جامعة ميشيغان.

«سمفونية الموتى».. قصيدة هاربة من التابوت

بتول حميد

في كل مساء قبالة ضريح حافظ الشيرازي، أحد أشهر الشعراء في إيران، يتكأ الكثير ممن يساورهم القلق والشوق»، يهمسون بمخاوفهم لاستقراء الطالع في جوف قصيدة عمرها نحو ستة قرون! يستدير هائمون وفضوليون حول الضريح ذي القبة المشيّدة من حجر اليشب، في إحدى حدائق مدينة «شيراز» جنوب إيران، حيث وُلد الشاعر وعاش في القرن الرابع عشر. يسهمون ويقفون على سطرٍ بشكل عشوائي في ديوان شعري لقصائد حافظ الشيرازي، فيما يتلو بعضهم مختارات من أبياته «غالباً ما تتماهى فيها التعبيرات الصوفية بالاستعارات».

لكنما هذه المساورات تعد لديهم أثقل من مجرد قراءة طالع بهدف تبديد أرق الجفون. إذ تعكس هذه التقاليد شغف الإيرانيين العميق بالشعر الذي يحتل مكانة خالصة في المحادثات اليومية وولخطب السياسية والأغنيات، حتى يكاد يشاركهم رغيفهم وأنفاسهم.

يجنح البعض إلى حدّ نظم أبيات عن الحبّ والروحانية على السجاد الفارسي، ونقشها على المجوهرات أو حتى كتابتها بخط مزخرف على اللوحات.

ومن بين الشعراء البارزين سعدي الشيرازي، الذي لا يزال نثره الغنائي العائد للقرن الثالث عشر حياً في ذاكرة معجبيه، وأبو قاسم الفردوسي، مؤلف ملحمة الشاهنامه «كتاب الملوك»، الذي يُبرز تراث إيران ما قبل الإسلام من خلال حكايات أسطورية.

ولعل الترجمة العربية انحازت عن الأدب الإيراني إلى الشّعر الذي كان له الحصة الأكبر من العناية اللغوية، فتعرف القارئ العربي على الكثير من الشّعراء الإيرانيين الذين ينتمون إلى مراحل ومدارس شعرية متنوعة أمثال الفردوسي صاحب «الشاهنامة» وفريد الدين العطار، فيما بقت النّصوص السّردية دون المرور عليها رغم أهميتها كجنس أدبي قادر على تصوير المجتمع إلى العالم بعدسة واضحة. ورغم وجود العديد من الروائيين الإيرانيين الذين وصلت نصوصهم إلى العالمية أمثال صادق هدايت صاحب رواية «البومة العمياء» 1937 التي ترجمت الى معظم لغات العالم وبرزك علوي صاحب رواية «عيناها» 1952، ورضا براهني صاحب «السيدة آزادة وكاتبها» إلى محمود دولت آبادي صاحب أضخم رواية في الأدب الايراني وهي «كليدر» المؤلفة من 10 مجلدات وغيرهم.

ولحسن الحظ صدرت رواية «سمفونية الموتى» عام 2018 ترجمتها العربية عن دار المتوسط، لكاتبها الإيراني عباس معروفي ومترجمها المغربي أحمد موسى، المصنفة تحت مجهر النقاد الإيرانيين بأنّها ضمن أفضل عشر روايات في تاريخ الأدب الفارسي.

رصَ معروفي ببديهية المبدع منمنمات أدبية ساحرة تمسك بك من الحركة الأولى فتأسرك بتلقائية دون أن تفلت منك إلى آخر سطر في الحركة الأخيرة. ببراعة متناهية على التّصوير يرسم معروفي أطلال عوالم خلت، ينفخ فيها الروح والحياة ليستنطق مكنوناتها وما يجيش بداخلها من صراع لأجل البقاء بلغة شاعرية ملحمية تجسد تفاصيل المكان وكأنه يزاوج رصانة الأدب برشاقة السينمًا عبر وصف الحركات بأدق إيماءاتها على نحو «كان قد وصل الى الشارع. ضرب برجله بقوة حتى لا يبقى الثلج عالقا على جزمته. كانت حبّات البرتقال المتعفّن تطفو فوق سطح الماء، ثم تغطس والماء يجري بسرعة والسماء قد أضحت، تماماً سحابة دكناء». أو على صدى «حين شرعت الأمطار بالهطول، توقفت عن التمرجح. كانت واجهة البركة مليئة بالفقاقيع المستديرة الصغيرة والسمكات تتطاير لتبتلع حبات المطر.» وهكذا تتوالى الصور وتهيأ الأحداث بشغف سريع يود القارئ تأمله بوتيرة متمهلة.

تبدأ الحكاية من خان تجارة المكسّرات في بلدة «أردبيل» شمال إيران في أربعينيات القرن الماضي بأسلوب «الخطف خلفا» وتداعي الذاكرة؛ حيث تقيم عائلة جابر أورخاني المؤلفة من الأب والأم وثلاثة أبناء وبنت واحدة يعزف كل واحد منهم مقطوعة حياته في طريقه نحو مماته التراجيدي الذي وضع لحنه معروفي بسلاسة. لتبدأ الحكاية مع أورهان الولد الأصغر لجابر الذي قتل أخيه الأكبر يوسف العاجز عن الحركة إثر سقوطه بعد محاولة تقليد هبوط المظليين الرّوس، لأنه ضاق ذرعاً بالاهتمام به بعد موت والديه. أورهان الابن الذي يقتفي خطى الوالد في عالم التجارة ودون أن يأبه بالقيم الإنسانية في حفظ حقوق أخوته بأموال أبيه. يرى أن مجرد معرفة القراءة والكتابة كاف لإدارة شؤون العيش، فالأهم هو جمع المال –وهذا ما كان يرضي الوالد– الرجل المحافظ المتشبهين بالدين، الذي يرى الحياة من منظور ما يملكه ويؤمن به. فالبنت بالنسبة إليه «خُلقت للمطبخ وخدمة الزوج»، ولم يعرف أن مصير ابنته ايدا الانتحار حرقاً بعد أن هجرها زوجها وتملص من مسؤلياته وهاجر إلى أمريكا.
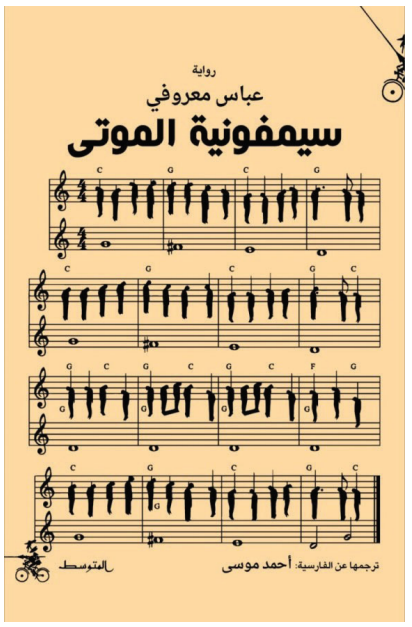
يؤمن جابر الأب بأن مهمة الرجل الأزلية تكمن في ثنائية العمل والعبادة، لذا كان أيدين ابنه الأوسط ذو الميول اليسارية مبعث شقاء وتجهم، بعد أن حاول مرات تعيسة ثنيه عما يجول في رأسه من أفكار واستمالته للعمل معه في الخان. لكن تعلق أيدين بالشعر وقراءته التي كوّنت ملامح شخصيته ورسمت حياته المغايرة اضطرته لمغادرة المنزل والهروب من تزمت والده وملاحقته المستمرة له بعد أن أحرق كتبه أكثر من مرّة. ليقوده هروبه إلى عائلة أرمينية احتضنته ورعته واستثمرت مهارته في صناعة البراويز الخشبية، وهناك ارتبط بعلاقة حبّ بفتاة شقراء تدعى سورمليا، تزوجها زواجين الأول مسيحي والثاني إسلامي –دون أن يذكر الكاتب أية عقبات اجتماعية أو قانونية تعيق وتستهجن هكذا زواج مختلف في ديانة طرفيه المتفقين في الحبّ– واستمرت حياتهما معاً الى أن ماتت سورمليا بداء الجذام وتلاشى لحنها.

يقول أيدين «عندما يحبّ الإنسان شخصاً يكون بمفرده، لأنه لا يستطيع أن يُخبر أحدًا غير ذلك الشخص بما يشعر به، وإذا كان هذا الشخص هو من يشجعك على الصمت، فستكون وحدتك وعزلتك كاملة». هو نفسه الذي سأله والد ذات يوم: عم تبحث؟ فأجابه: «عن نفسي». انتهت حياة أيدين بعد هواجس مرهقة وبعد أن دس أورهان السّم في طعامه ليموت غرقاً وتخفت معه سمفونية جنائزية بمفارقاتها التي تكشفت حين أدرك أورهان حقيقة عقمه وتلاشي حلمه بإنجاب ابن يكمل مشواره.

تحمل الرواية أفكارا عديدة في فترة زمنية محددة –بين ما قبل الحرب العالمية الثانية ودخول الروس والبريطانيين إلى إيران وما تلاها من أحداث– رافقت الحراك السياسي والاجتماعي بعد الحرب، والذي تمخض عنها صراعاً بين أجيال وأفكار متضادة في مجتمع مقيّد بمعوقات متعددة، أولها العادات الاجتماعية الموروثة وليس آخرها تحكم الغرب بمقومات الحياة كالصناعة متمثلة بالمعامل التي أقامها البريطانيون واستقطاب اليد العاملة.

«سيمفونية الموتى» رواية الأصوات الصاخبة التي أمسك عباس معروفي بأذرعتها وحرك شخوصها بأناقة وسجية دون أن يمارس دكتاتورية كتابية خانقة، تاركاً كل شخصية تتكلم عن ذاتها بأريحية عبر الحوار والسرد و تداعي الأفكار.

في البداية يتولى أورهان السرد، ثم أيدين وبعده سورمليا ليعود مرّة أخرى إلى أورهان منتهياً بالحكاية معه. ويحتفظ معروفي لنفسه بضمير القول بما يحمله من أفكار وفلسفة حياتية، وتسمح هذه التقنية المألوفة في الأدب العالمي بتقديم أحداث متباينة المستويات ومواقف يبرز التضاد فيها على النحو الاجتماعي والثقافي. كما هو حال أورهان وأخويه أيدين وايدا والأب مع أيدين. وكما يضيء التوافق عند لقاء ايدين مع العائلة الأرمينية التي تحتضن ميوله الأيدلوجية.

ورغم أن الرواية تظلل مساحة زمنية لأكثر من 40 عاماً إلّا أن معروفي لا يعول على التغييرات الزمنية كحالة اجتماعية بقدر ما يتتبع تغيّرات شخوصه ومصائرهم دون ربطهم بحال المجتمع المتغير، وهو بهذا يسعى لعدم إقحام في فلسفة المقولات والشعارات الرنانة التي تفرغ النص في بعض الأحيان من جمالية الاتساق الشعري الدرامي.

جدلية اللغة لدى معروفي لبنة أساسية، وليست مجرد فرشاة تلون باقي العناصر. فلا يقبع النص أسيراً للشخوص والحكاية ولا يبقى القارئ أسير المعنى بل أسير لغة المعنى دون أن تبهت حالة الدهشة التي ترافقه طيلة إنصاته لسيمفونية الموت.

مسرح

فاطمة محسن

كمعتوهٍ قرر أن يعتزل طرقات الحي ويصب جنونه على نفسه
هكذا تبدو الصبية بلا صباحات
تنام فجأة ثم تستيقظ على وشوشات الشياطين فترقص
تحاول أن تتخلص من الكلمات الكثيرة في رأسها
الكلمات التي قررت أن ترقص أيضا
دون موسيقى
يبدأ هذا المسرح في الساعة الأولى للغياب
تتعدد الأدوار
يصفق الجمهور
لكن الصبية تعود على المسرح
تهز رأسها جيدا فتتساقط الكلمات
يصفق الجمهور بشدة
تحمل معها كلمة الغياب وتنحني
تسدل الستارة
بينما المخرج يجمع الكلمات ويبكي

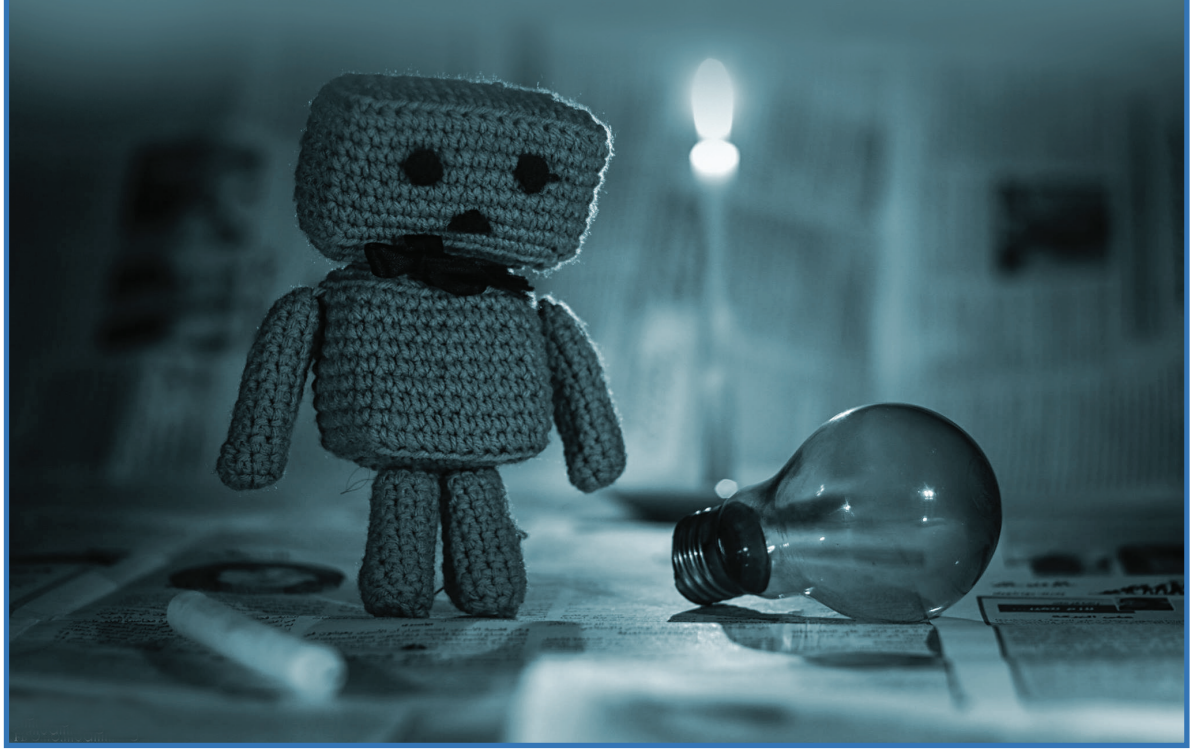

مجد يعقوب

أكبر من الخوف.. أقسى من الفزع

إنه شعور قوي بالرهبة تجاه ما نشاهده ويشاهده العالم بأسره كل يوم. أحياناً أتساءل، هل يوجد أكثر من هكذا توحشاً وإجراماً؟، وهل قابله أبشع من هكذا تبلداً وتواطئاً عالمياً؟

في حقيقة الأمر، لا تعنيني السياسة بكافة أكاذيبها وتلاعباتها وتقلباتها وشرورها وجشعها وأجنداتها. ولا تهمّني الأطياف والانتماءات والمحسوبيات والتكتلات والأوراق الرابحة والخاسرة ، لكنّ اليقين ثابت بأحقية الأرض لأصحابها، لن يتبدل، والحقّ سيحق ولو بعد حين،

وأن الباطل قد تمادى في شروره لأكثر من عشرة أشهر، لم يفرق بين بشر وحجر. معربداً خلف أوهامه في بعثرة كلما كان فوق الأرض.

تتسمر بين عيني مشاهد الأطفال وهم يركضون فزعين، وكأنهم كانوا داخل كهوف لا ماء ولا طعام، يصرخون بأصوات كلّت وملّت، لم يبق أحد من عائلاتهم يحتمون به، ولم يعثروا على دكّة او نصف جدار يتوارون خلفه من اسراب الغربان التي تطاردهم. في عينيهم ما لا تستطع علوم الدنيا تفسيره. شيء أكبر من الخوف، أقسى من الفزع، أشدّ من الإصرار.

هل فكّر أحدنا ماذا سيختزنون من صور لو قُدر لهم النجاة؟ وكم من التشوهات التي ستطالهم، سواء الجسدية والنفسية والعقلية؟، هل حاول أحدنا ان ينظر إلى محاجر عيونهم ليرى الدمع الجاف والتحدي والإصرار واليقين والثبات والخوف والفزع والأمل، ليرى كل المشاعر ونقيضها. ليرى أنهم يشيعون إنسانية هذا العالم المتجبر إلى مثواها الأخير ؟

التقدمي

التقدمي العدد 202 ـ سبتمبر 2024 السنة 22 SDPA 499

رئيس التحرير: د.حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

هل نسيتِ الأدمعا؟

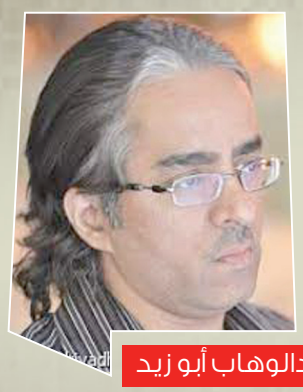

عبدالوهاب أبو زيد

في لحظةٍ ماتا وقد ولدا معا
يا عينُ ما بك؟ هل نسيتِ الأدمعا؟

***

بين الولادةِ والوفاةِ ثلاثةُ الأيامِ
مرَّ قطارهنَّ مودعا

***

وبقيتَ وحدك والجحيمَ موكلا
بك حين صيّرَ كالهشيمِ الأضلعا

***

يا كل صبر الأرض خذ بفؤاده
ففؤاده بين الضلوع تصدّعا

***

وامسح عليه فما يزالُ بثغره
ظمأٌ إلى من للمنيةِ أسرعا

***

هي فرحةٌ وئدتْ وحزنٌ غامرٌ
نزفَ الدموعَ وهبَّ ريحًا زعزعا

***

قلعته فهو الآن أصبح نخلةً
سقطتْ وبابًا للفجيعةِ أُشرِعا

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com